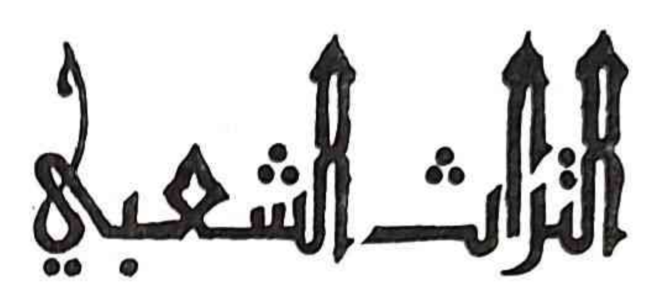


تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام
جمهورية العراق
العدد الثالث ـ السنة التاسعة والعشرون / ١٩٩٨

فولكلوريات

شاكر حسن آل سعيد ١٩٦٨





التراث الشعبي

تاسست سنة ١٩٦٣

العدد الثالث ١٩٩٨

تصـــدرها دار الشـــؤون الثقافيـــة العامـــة

وزارة الثقافـــة والاعـــلام - جمهوريـــة العـــراق



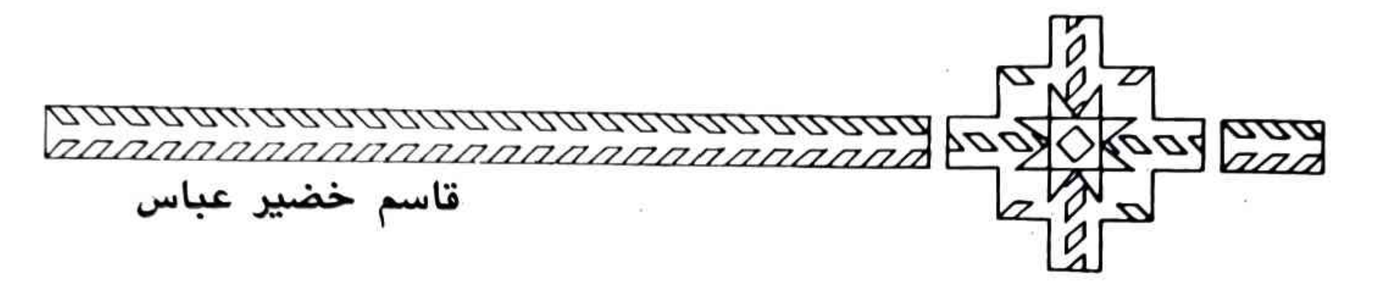
التراث الشعبي
٣٥ عاماً من الحب

تحتفـل « التـراث الشعبي » مجلتكم العتيـدة بالـذكـرى ٣٥ لميـلادها الاهلي والـذكـرى ٢٩ لميلادها الرسمي وسط جو من الحب والعطاء المستمر من قبل محرريها وكتابها الافاضل باعتبارهـا اقدم مجلة فولكلورية عربية ما زالت تعمل من اجل الثقافة المأثورية العربية والعراقية .

جـابهت (التـراث الشعبي) كغيرها من المجلات الثقافية زمن الحصار الكثير من المتاعب فقد تعطلت عاماً كاملًا بعـد العدوان الثلاثيني ثم صدرت بعد هذا بعددين صغيرين كل عام ثم تواتر تقدمها هذا العام بثلاثة اعداد وستستمر في الصدور فصلية (مؤقتاً) في العـام القادم لتقدم افضل الدراسات في حقلها المهم معاهدة قرائها على البذل والتجويد .

تحية لمن ساندها في الوطن العربي الكبير وفي العراق الحبيب ومجداً للكلمة الطيبة .

رئيس التحرير



قاسم خضير عباس

مجلة التراث الشعبي

حكاية (٣٥) عاماً من العطاء الثر

تبدأ الحكاية في ايلول ١٩٦٣ عندما شرع اربعة رجال وبجهد خاص باصدار مجلة جديدة في العراق اسمها « التراث الشعبي » مجلة ثقافية شهرية تعنى بشؤون الفولكلور .

والرجال هم :

شاكر صابر الضابط - صاحب امتياز .

ابراهيم الداقوقي - رئيس تحرير .

لطفي الخوري - سكرتير تحرير .

عبد الحميد العلوچي - مدير تحرير .

وقد صدر منها عشرة اعداد .

وفي سنة ١٩٦٤ اعيد اصدارها مع تغيير في الرجال فقد تنحى شاكر صابر الضابط وحل محله ابراهيم الداقوقي صاحب امتياز ومدير تحرير ، وتنحى عبد الحميد العلوچي وحل محله محمود العبطة المحامي - رئيس تحرير مسؤول وظل لطفي الخوري محتفظاً بمنصب سكرتير تحرير . وصدر من المجلة عام ١٩٦٤ سبعة اعداد اثنان منها مزدوجان ، وانقطعت المجلة عن الصدور .

وفي عام ١٩٦٨ اعيد اصدارها للمرة الثالثة ، وصدر منها ثلاثة اعداد فقط . كان صاحب الامتياز في الاعداد الثلاثة لطفي الخوري وكان رئيس التحرير في العددين الاول والثاني حسين علي الحاج حسن المحامي والعدد الثالث كان الدكتور اكرم فاضل .

وقد حددت المجلة سمتها وافقها وقضاياها عبر افتتاحية العدد الاول التي جاء فيها :

« ان محاولة فهم تراثنا الشعبي ، تقضي ان نعود الى مرحلة ما قبل التاريخ العلمي ،

لان جذوره ابعد غوراً واكثر ارتباطاً بتاريخنا القديم ... وقد تفضي بنا الى اكتشاف الكثير من اوجه التلاقي بين تراث الاقوام التي سكنت العراق القديم ، وبين تراث الشعب العربي في العراق من جهة ، كما ان دراسة التراث الشعبي العراقي سوف تعزز الملامح المشتركة بينه وبين الشعوب الناهضة التي تحررت في هذا العصر في سعيها للنهوض بتراثها القومي من جهة اخرى . وهذا ما نرجو ان تقوم به (مجلة التراث الشعبي) » من خلال ما تقدم نلاحظ الافق الواسع للفلكلور قضاياه وابعاده زيادة عن وضع الفولكلور في خدمة تحرر الشعوب فضلًا عن التنوع والغائية التي اتسمت وستتسم بها المجلة في مراحلها اللاحقة .

ولكي نقترب من الصورة الواضحة التي نرسمها للمجلة في اصدارها نقول ان المجلة في سنتها الاولى اهتمت بأغلب مواضيع علم الفلكلور وذلك من خلال صفحاتها التي بلغت نحو (١٣٢) صفحة وكانت المجلة تضم ايضا خلاصات للمواد المنشورة فيها مترجمة الى اللغات التركية ، والفارسية ، والانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، والايطالية ، ومن خلال ما تقدم نلاحظ حجم الاختصاص والجهد الذي اضطلعت به المجلة ، ومن ابواب المجلة الآتية :

- النتاج الفولكلوري .
- اخبار الفولكلور .
- في المكتبة الفولكلورية .

كما اعدت المجلة فهرساً لكتاب ومواد سنتها الاولى ، والمجلة في سنتها الاولى تستحق الثناء والتقدير لكونها اندفاعة مرموقةفي الجهد الفولكلوري .

ويمكننا القول ان المجلة في اصداراتها الثلاث حققت ما يأتي :

١ ـ في مجال النشر توفرت المجلة على الاهتمامات الاساسية في علم الفولكلور وتابعت اخبار الفولكلور في العراق والوطن العربي والعالم .

٢ ـ اجتذبت المجلة الى جانب الهواة كتابا معروفين منهم :

الشيخ محمد رضا الشبيبي ، د . مصطفى جواد ، د . ابتسام مرهون الصفار ، د . ابراهيم السامرائي ، د . اكرم فاضل ، الشيخ جلال الحنفي ، الاستاذ جميل الجبوري ، الاستاذ جميل حمودي ، جميل كاظم مناف ، د . حسين امين ، د . حسين علي محفوظ ، د . صفاء خلوصي ، طلال سالم الحديثي ، عامر رشيد السامرائي ، د . محسن جمال الدين ، نوري الراوي ، المحامي محمود العبطة ، واخرين .

٣ ـ استطاعتالمجلة ان تشجع جامعي المادة الفولكلورية والمهتمين ميدانيا بالعناصر الفولكلورية .

٤ ـ اصدرت المجلة اعداداً خاصة .

ان التراث الشعبي الاولى تظل محتفظة باهميتها لكونها جهداً رائداً في ميدان علم الفولكلور .

كما ونسجل في هذه المرحلة مرحلة « الجهد الخاص » الدور الريادي للاستاذ لطفي الخوري الذي اضطلع به منذ العدد الاول وما تلاه .

■ مرحلة الجهد الحكومي

لقد كان للظروف المادية (مالية وطباعية) اثر في عرقلة صدور المجلة وكادت تهدد بأنقطاعها نهائيا وذلك في انطلاقتها الاولى . لولا قيام وزارة الاعلام العراقية « الثقافة والاعلام » انذاك التكفل بأصدارها تقديراً لجهدها في خدمة الفولكلور العراقي والعربي ، وهكذا صدر العدد الاول من المجلة عن وزارة الاعلام في ايلول ١٩٦٩ وظل الاستاذ المرحوم لطفي الخوري رئيساً للتحرير وجاء في افتتاحية العدد ما يأتي :

« من اجل ان يضيء الحرف ، ومن اجل ان تفيد الكلمة ومن اجل بعث تراثنا الشعبي ، وتركيزه على اسس علمية ثابتة ومناهج منسقة ، ومن اجل اعلام هادف ، ومن اجل ثقافة المواطن تبنت وزارة الثقافة والاعلام اصدار مجلة التراث الشعبي وحكاية مجلة التراث الشعبي ترجع الى عام ١٩٦٣ عندما تقدمنا ثلاثة من المواطنين بطلب الحصول على امتياز لاصدار هذه المجلة وكان ان صدرت واستمرت ثم تعثرت وكبت ثم نهضت مواصلة مسيرتها ببطء تقف احيانا تلتقط انفاسها اللاهثة من حمل المادة التي نأت بها ، تسير حينا اخر ثم تقف وهكذا وجاءها العون وامتدت يد الثورة ترفعها من كبوتها وتدفع بها الى الامام وتبعث فيها الروح والحياة واحتضنتها وزارة الثقافة والاعلام بحنو وتشجيع وايمان ، حنو الام على وليدها وتشجيع الاب لابنه وايمان المواطن بشعبه وتراثه الخلاق والوزارة اذ تضع بين يدي المواطن هذا العدد فانها تعتبر ذلك دعوة الى جميع الكتاب والمثقفين والباحثين الفولكلورين للمساهمة بالحفاظ على تراث شعبنا وصيانة ما ابدعه والعمل على تسجيله سواء كان ادبا شعبياً ام صناعة ، ام حكايات والغاز ، عادات او تقاليد امثالًا او حكماً وغيرها كثير من معطيات هذا الشعب الاصيل .

وهي اذ تدعو الى ذلك انما تنطق من حقيقة ثابتة لا تتغير ، وهي ان مجد الامم متصل دائما بماضيها وان الصلة بين الماضي والحاضر وثيقة لا تنفصم . اليك ايها المواطن اوجه هذه الحكمة ، كاتباً او قارئاً باحثاً او مستطلعاً للمساهمة مع العاملين في تحرير مجلتك هذه والعمل على تغذيتها بأنتاجك وافكارك فهي منك من صميم هذا الشعب الجبار الخير ، وهي تكتب لك ولأجلك ، وبدونك لا تستطيع الاستمرار فديمومتها منك واعتمادها عليك والف تحية وتحية الى تلك اليد المباركة التي امتدت لتأخذ بأزر مجلتك وتحتضنها » . وهكذا دخلت التراث الشعبي في انطلاقة جديدة لتواصل مسيرة مرموقة في خدمة الفولكلور وقضاياه ولتضع لمساتها المتميزة في معالجة علم الفولكلور .

ولقد جاء هذا العدد متنوع الاهتمامات تناول اسس الفولكلور والاسطورة ، وعناصر فولكلورية في التراث العربي ، والحياة الشعبية ، والاغنية الشعبية ، والالغاز الشعبية ، وبعض عادات البدو ، والنجوم ، وملحمة كلكامش والحكاية الشعبية وتاريخ الغجر . كما نجد بداية الابواب الثابتة ، النتاج الفولكلوري ، واخبار الفلكلور وضمت المجلة كذلك قسماً بالفرنسية واخر بالانجليزية يتضمنان خلاصات المقالات المنشورة .

اما كتاب العدد الاول فقد كانوا الاساتذة :

محمود العبطة ، سلمان التكريتي ، هادي العلوي ، عامر رشيد السامرائي ، طلال سالم الحديثي ، ناجح حسين المعموري ، احمد الظفيري ، جميل الجبوري ، عبد الحق فاضل ، خضير عبد الامير ، لطفي الخوري ، شاكر هادي غضب . من خلال ما تقدم نتلمس ملامح التطور الذي طرأ على المجلة هذه الملامح التي سوف تتضح وتتوطد مع كل عدد جديد مع كل خطوة جديدة .

وحظيت المجلة باهتمام متزايد من لدن الجامعات والمكتبات الوطنية والمعاهد والدوائر الثقافية ومراكز الابحاث واشترك في المجلة بصورة مطردة العديد من هذه المؤسسات اضافة الى عدد واسع من العرب والاجانب بصورة شخصية .

ان مجلة التراث الشعبي كانت تطبع نحو ٣ الاف نسخة ارتفع الى ١٥ الف نسخة بدون مرتجع .

■ نهج المجلة :

ان مجلة التراث الشعبي استطاعت عبر مسيرتها ان تطور وتطبق مفهوماً متميزاً في تناول الفولكلور يحمل بصمات خاصة هي بصمات هذه المجلة وتجلت تطبيقات هذا المفهوم في توسيع دائرة الفولكلور بحيث يضم الى جانب العناصر الشفاهية العناصر المادية والميدانيات ذات النتائج التي يمكن الاستفادة منها في ميدان الانثروبولوجيا وكذلك الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تلقي اضواء على الحياة الشعبية في عصور مختلفة ومن ثم وضع العناصر كلها في اطار العلائق الاجتماعية والاقتصادية ، ان هذا المفهوم في التطبيق قد اعطى المجلة سعة في الافق وحرية في الحركة . لقد ابتعدت المجلة عن التناول الشكلي للفولكلور محققة بهذا سبيلًا متميزاً في معالجة الفولكلور .

أصدرت المجلة الاعداد الخاصة الاتية :

١ ـ عدد خاص بالحرف والصناعات الشعبية . ع ٩ ، ش٢ ، ٩٧٠ / ١٩٧١ .
٢ ـ عدد خاص بالحكاية الشعبية . ع ١٠ ، س٣ ، ٩٧١ / ١٩٧٢ .
٣ ـ عدد خاص بدورة الحياة . ع ٤ ، س٤ ، ٩٧٢ / ١٩٧٣ .
٤ ـ عدد خاص بالموسيقى والغناء . ع ٥ ، س٥ ، ١٩٧٤ .
٥ ـ عدد خاص بالابنية والعمارة الشعبية . ع ٦ ، س٦ ، ١٩٧٥ .
٦ ـ عدد خاص بالازياء والحلي الشعبية . ع ١٢ ، ١٩٧٥ .
٧ ـ عدد خاص بالندوة العربية الاولى للفولكلور . ع ٢ ، وع ٤ ، ش ، ١٩٧٧ .
٨ ـ عدد خاص بالتراث الشعبي الفلسطيني . ع ٥ ، س٨ ، ١٩٧٧ .
٩ ـ عدد خاص بفولكلور المغرب العربي . ع ١٠ ، س ٨ ، ١٩٧٧ .
١٠ ـ عدد خاص بفولكلور الخليج والجزيرة العربية . ع ٧ ، س٩ ، ١٩٧٨ .

١١ ـ عدد خاص بالرقص الشعبي . ع ١٢ ، س ١٠ ، ١٩٧٩ .
١٢ ـ عدد خاص بالطب الشعبي . ع ٩ و ١٠ ، س ١٢ ، ١٩٨١ .
١٣ ـ عدد خاص ببحوث الحلقة الدراسية الخاصة باسبوع الفولكلور العراقي . ع ٣ ، س ١٦ ، ١٩٨٥ .
١٤ ـ عدد خاص ببغداد . ع ٢ ، س ١٨ ، ١٩٨٧ .
١٥ ـ عدد خاص بشارع الرشيد . ع ٢ ، س ١٩ ، ١٩٨٨ .
١٦ ـ عدد خاص بالطب الشعبي . ع ٤ ، س ١٩ ، ١٩٨٨ .
١٧ ـ عدد خاص بالف ليلة وليلة . ع ١ ، س ٢٠ ، ١٩٨٩ .
١٨ ـ عدد خاص بالبصرة في التراث الشعبي . ع ٣ ، س ٢٠ ، ١٩٨٩ .
١٩ ـ عدد خاص بالحصار والمقاومة والتدبير . ع ١ ، س ٢٦ ، ١٩٩٥ .
٢٠ ـ عدد خاص بالحصار والمقاومة والتدبير . ع ٢ ، س ٢٦ ، ١٩٩٥ .
٢١ ـ عدد خاص بالحكاية الشعبية . ع ٢ ، س ٢٧ ، ١٩٩٦ .
٢٢ ـ عدد خاص بالحيوان في التراث الشعبي . ع ٢ ، س ٢٩ ، ١٩٩٨ .

كما واصدرت المجلة الملفات الاتية :

١ ـ ملف بذكرى تاسيس الجيش العراقي . ع ٥ ، ٦ ، س ١٤ ، ١٩٨٣ .
٢ ـ ملف بالتراث الشعبي الفلسطيني . ع ٥ ، ٦ ، س ١٥ ، ١٩٨٤ .
٣ ـ ملف بذكرى مرور اربع سنوات على حربنا العادلة ضد العدو الفارسي . ع ٧ ، ٨ ، س ١٥ ، ١٩٨٤ .
٤ ـ ملف بندوة بغداد للتراث الشعبي . ع ٣ ، ١٩٨٦ .
٥ ـ ملف بالحكاية الشعبية نصوص ـ دراسات . ع ٣ ، ١٩٨٦ .
٦ ـ ملف بندوة بغداد الثالثة . ع ٣ ، س ١٨ ، ١٩٨٧ .
٧ ـ ملف بالشعر الشعبي في المعركة . ع ٣ ، س ١٨ ، ١٩٨٧ .
٨ ـ ملف يحوي ١٧ حكاية من الشرق . ع ٢ ، س ٢١ ، ١٩٩٠ .
٩ ـ ملف عن التراث الشعبي في النجف الاشرف . ع ٣ ، س ٢١ ، ١٩٩٠ .
١٠ ـ ملف عن الصمود الشعبي . ع ١ ، س ٢٤ ، ١٩٩٣ .
١١ ـ ملف مهرجان. الشعر البدوي الاول . ع ٢ ، س ٢٨ ، ١٩٩٧ .
١٢ ـ ملف عن النواعير . ع ٢ ، س ٢٨ ، ١٩٩٧ .

كما و اصدرت المجلة الملاحق الاتية :

١ ـ بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والازياء / شاكر هادي غضب ، ملحق العدد

٤ ، س٧ ، ١٩٧٦ .

٢ ـ الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة / شاكر هادي غضب في المساجد الاسلامية والمراقد الاسلامية ، ملحق العدد ٨ ، س٨ ، ١٩٧٧ .

٣ ـ الحرف والصناعات الشعبية العراقية ، ملحق العدد ٣ و ٤ ، س١٥ ، ١٩٨٤ .

٤ ـ مختارات من دليل المصطلحات والالفاظ الاجنبية في اللغة الدارجة العراقية . د . مجيد محمد ملحق العدد ٢ ، س٢٠ ، ١٩٨٩ .

٥ ـ الشعر الشعبي ، باشراف جمعية الشعراء الشعبين ، ملحق العدد ١ ، س ٢٦ ، ١٩٩٥ .

الشعر الشعبي ، باشراف جمعية الشعراء الشعبين ملحق العدد ٢ ، س٢٦ ، ١٩٩٥ .

وكذلك اصدرت المجلة الاعداد الممتازة الاتية :

١ ـ عدد ممتاز بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لصدور مجلة التراث الشعبي . العدد ٥ و ٦ ، س١٤ ، ١٩٨٣ .

٢ ـ عدد ممتاز لمناسبتي ذكرى ميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي وميلاد الرئيس القائد صدام حسين . العدد / ٣ و ٤ ، ١٩٨٤ .

٣ ـ عدد ممتاز بمناسبة مرور اربع سنوات على حربنا العادلة ضد العدو الفارسي ، العدد / ٧ و ٨ ، ١٩٨٤ .

٤ ـ عدد ممتاز بالاغنية الشعبية نصوص ـ دراسات . العدد ٤ ، ١٩٨٦ .

الفهارس :

تم اعداد فهارس للسنوات ٦٩ ـ ١٩٧٩ ، وصدرت في كتاب من اعداد جبار الكواز ، وبالتعاون مع مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي ، صدر كشاف للمجلة للسنوات ١٩٦٩ ـ ١٩٨٢ ، والمجلة تعد العدة لاكمال كشاف السنوات اللاحقة .

وعلى صفحات المجلة ترجم ما ياتي :

١ ـ كتاب تاريخ الفجر / ترجمة لطفي الخوري .

٢ ـ كتاب اساطير الهنود الحمر / ت . ميسلون هادي .

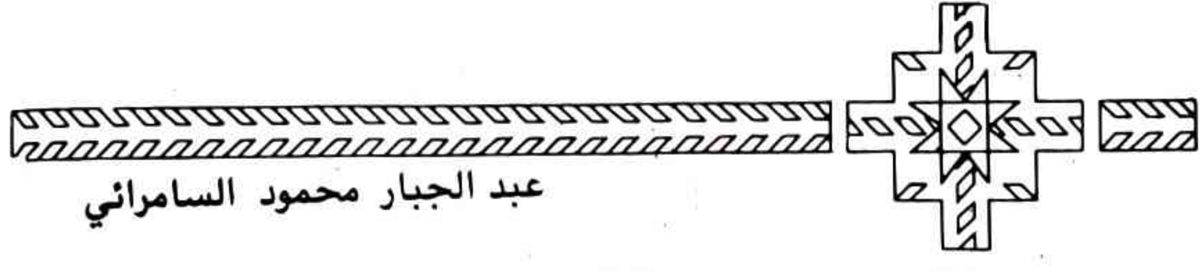
٣ ـ ملحمة گلگامش عن الاكدية / ت . د . سامي سعيد الاحمد . كما قام السيد عبد الصاحب العقابي بتحقيق نسخة من كتاب الف ليلة وليلة تعود الى عام ١٨٢٤ واصدار ديوان الف ليلة وليلة . وقام الدكتور كامل مصطفى الشيبي بنشر ديوان الكان وكان الذي صدر بكتاب ، كذلك نشر السيد باسم عبد الحميد حمودي فصولاً مهمة عن سيرة القائد

العراقي عامر الخفاجي والتي صدرت بكتاب وصدر عن المجلة كتاب ابحاث في التراث الشعبي . وكذلك نشر على صفحات المجلة معجم الميثولوجيا الذي اعده المرحوم لطفي الخوري وصدر بكتاب في جزئين ، هذا عرض سريع لبعض ما تم تحقيقه على صعيد النشر ، اما على صعيد الندوات والمؤتمرات **فقد عقدت المجلة الندوات الاتية :**

١ ـ الندوة العربية الاولى للفولكلور . (١ ـ ١٠ اذار ١٩٧٧) تحت شعار [الفولكلور في خدمة النضال القومي] .
٢ ـ الندوة العربية الثانية للفولكلور . (١ ـ ٤ ايلول ١٩٨٠) تحت شعار [وحدة التراث الشعبي في الوطن العربي] .
٣ ـ حلقة دراسية خاصة بالفولكلور العراقي [١٢ ـ ١٤ نيسان ١٩٨٥] .
٤ ـ ندوة بغداد للتراث الشعبي . (١٦ ـ ١٩ نيسان ١٩٨٦) حول [حامل الموروث الشعبي وكيفية الحفاظ عليه] .
٥ ـ ندوة بغداد الثالثة (٢٢ ـ ٢٤ نيسان ١٩٨٧) محورها (الشعر الشعبي والشخصية العربية) .
٦ ـ ندوة بغداد الرابعة للتراث الشعبي (٣ ـ ٥ حزيران ١٩٨٩) محورها (البصرة في التراث الشعبي) .
٧ ـ ندوة بغداد الخامسة للتراث الشعبي (٢٣ تشرين الاول ١٩٩٦) محورها (الصناعات الشعبية العراقية) .
٨ ـ حلقة نقاشية لشعر البادية المنعقدة على هامش المهرجان العربي الاول لشعر البادية بغداد ٢٧ اذار ١٩٩٧ .

ان الدعم الذي قدمته قيادة الحزب والثورة كان له الفضل في تمكين المجلة من اداء رسالتها وتطورها . وان التواصل الحي بينها وبين كتابها الافاضل كان الرافد الثر الذي مكن لجذورها ان تضرب في الارض ، هذا ولاقبال قرائها ومحبيها المتزايد ، دوره في نهوضها وشد عزائم اسرة تحريرها .

تحية اعزاز واكبار لمسيرة التراث الشعبي عبر سنواتها الخمس والثلاثين وسنة خير عامرة بالبحث والاستذكار في العام السادس والثلاثين الذي تدخل اليه واثقة وعزيزة والرحمة كل الرحمة لروادها الاوائل الخوري والعلوجي ومحمود العبطة المحامي .



عبد الجبار محمود السامرائي



من رواد التراث الشعبي العراقي

عبدالحميد العلوجي وإسهاماته في مجلة (التراث الشعبي)

مَن منا لم يتأثر بعبد الحميد العلوجي . لقد كان علماً بارزاً من أعلام « التراث الشعبي » ورائداً من رواده ، متبحراً في محيطاته ، حتى استحق لقب « جاحظ القرن العشرين » .

كان العلوجي مكتبة متجولة ، إن لم أقل (انسكلوبيديا) ، فقد كان رحمة الله ، حتى آخر لحظة من حياته ناسكاً في محراب التراث .. زاهداً في لذائد الحياة . راحته : هي أن يبحث ويكتب .. سعادته في أن يمد يد المساعدة لإسعاف طالب علم . كان متواضعاً جداً .. ولم تتسلل المكابرة الى عقله قط . وصدق من قال : (تواضعُ العلماء .. كبرياء) .

وفي هذه المقالة نستعرض اسهاماته في مجلة (التراث الشعبي) في طوريها الأهلي والرسمي .

١ . من الوثائق التزهية العربية : رسالة التربيع والتدوير : ويبدو ان هذا البحث كان أول مادة ينشرها في مجلة (التراث الشعبي) في أول عدد صدر منها ، في أيلول ١٩٦٣ ، ونشر الجزء الثاني منه في العدد الثاني تشرين الاول ١٩٦٣ . والمعروف ان رسالة التربيع والتدوير كان قد ألّفها الجاحظ (٧٦٧ ـ ٨٦٩ م) ، وعدّها العلوجي من ألمع وثائقنا الخطيرة التي احتفلت بـ(الترهات) العربية . والتُزهة هي الاسطورة أو الخرافة الملفقة .. أو هي حكايات الآلهة وما اليها . ومغزاها تفسير علاقة الانسان بالكائنات ، وتعليل الظواهر الطبيعية على نحو ساذَج .

٢ . قصيدة فولكلورية من الاندلس :

مقالة نشرها في العدد الثاني ـ السنة الثانية ، كانون الاول ١٩٦٤ .

والقصيدة عبارة عن وثيقة تتعلق بـ(الزوج المربوط) أي الزوج المخنول في ليلة الدَخلَة . وقد أشار العلوجي الى انه عثر على هذه القصيدة بعد نشره كُتيبه المرسوم (الزوج المربوط) وكان يتمنى على الله لو أنه عثر على هذه القصيدة ـ الوثيقة قبل نشر ذلك الكُتيب

في بغداد عام ١٩٦٤ . ويذكر العلوچي ان لسان الدين الخطيب المؤرخ الأديب الاندلسي نسب تلك القصيدة الى القاضي أبي الحسن النباهي صاحب (المرتبة العليا في تاريخ قضاة الاندلس) . وتبدأ القصيدة بقوله :

أعـــــــوذ من يُمسي عليـــــــه معلقـــــــاً
حجــــــابي بطـــــــه أو بيـــــــاسين والخمسِ

ويبدأ العلوچي الموسوعي بشرح القصيدة شرحاً فولكلورياً مستعيناً بالمصادر والمراجع التي تغني الموضوع وقد بلغت واحداً وثلاثين بين مصدر ومرجع .

٣ . من الفولكلور الجنسي البغدادي : أسرار الحبالي : تواصلًا مع اهتماماته في ميدان الفولكلور الجنسي البغدادي ، يقتنص العلوچي أسرار الحبالي في هذه المقالة المانعة ، وتحديداً من كرخ بغداد من (الجعيفر والرحمانية والشيخ علي) . وفي هذه المقالة الجريئة في زمنها حيث نشرها في العدد المزدوج السادس والسابع أيلول ١٩٦٥ من مجلة (التراث الشعبي) ـ يقتحم العلوچي عالماً لم يسبقه إليه أحد يمثل تلك الجرأة والشجاعة بل المغامرة ، يوم كانت الكتابة في هذه الموضوعات سُبّة عند غير واحد من الأدباء والباحثين .

٤ . مراجع « العاميّة » في الوطن العربي :

وفي العدد الثاني ـ السنة الثالثة ـ ايلول ١٩٦٦ يغامر العلوچي هذه المرة في ميدان « العامية » فيرصد بجهد ببليوغرافي متميز ما كتب في مجال اللهجات العربية لمؤلفي قدامي ومعاصرين .

٥ . طوب أبو خِزّامة :

وفي العدد الاول – السنة الأولى مايس ١٩٦٨ من (العراق : مجلة التراث الشعبي) التي ولدت بعد توقف مجلة (التراث الشعبي) الآنفة الذكر ، يكتب العلوچي مقالًا يحّيي فيه (طوب ابو خزامة) الذي رقد فوق قاعدته الجديدة في ساحة الميدان ببغداد في العاشر من كانون الثاني ١٩٦٨ ، وكانت تحية الرجل لهذا الأثر البغدادي ، تحية اسرار هذا المدفع السحري الذي كان موشحاً بالطلاسم التي ساعدت على تنشيط قذائفه للفتك بالاعداء الذي كانوا يحاصرون بغداد

٦ . مصنوعاتنا الشعبية :

وفي العدد المزدوج ٢و٣ الصادر في تموز ١٩٦٨ من المجلة الآنفة الذكر ، يشترك العلوچي مع الباحث الفولكلوري عامر رشيد السامرائي في دراسة قيمة عن الصناعات الشعبية في العراق ، كرّسها مع زميله للحديث عن الصناعات اليدوية ، واستكملت هذه الدراسة في المجلة ذاتها ، العدد المزدوج ٥و٦ تشرين الاول ١٩٦٨ ، وكانت مكرسة للصناعات الفخارية ، النسيج والحياكة ، الانسجة النباتية ، الجلود ، الحديد ، التنك ، الخشب .

٧ . مع كتاب الليالي – جولة في مدينة النحاس :

نشر العلوچي هذه المقالة في العدد السابع – آذار ١٩٧٠ في مجلة (التراث الشعبي) التي تبنّت إصدارها وزارة الثقافة والاعلام ، أي بعد أن صار التراث الشعبي معترفاً به . بيد أن العلوچي الذي اعتبر تلك الدراسة على أقسام ، لم ينشر منها سوى

القسم الاول فقط ، ولو عُرِف السبب لبطل العجب .

٨ . حول العدد (٧) :

وفي العدد العاشر – السنة الثانية – حزيران ١٩٧١ يعقد العلوچي دراسة ضافية . في حقل الانثروبولوجيا الثقافية ، معقباً على الباحثة بثينة الناصري التي نشرت بحثاً لها عن الحكاية الشعبية في عدد آذار ونيسان ١٩٧١ من مجلة (التراث الشعبي) . وفي هذه الدراسة تتجلى موسوعية العلوچي ، حيث لم يترك الرجل شاردة ولا واردة عن (السباعيات) في تراث الشعوب .

٩ . فهارس المجلة :

وفي الاعداد ١١و١٢ – السنة الثانية ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٢ – السنة الثالثة ١٩٧١ و ١٩٧٢ ، و ١٢ السنة الثالثة ١٩٧٢ و ١٩٧٣ يقدم العلوچي فهارس مجلة التراث الشعبي ، ثم ينقطع عن هذا الجهد .

١٠ . هوامش على ظاهرة التحرش بالمرآة :

وفي العدد الاول ١٩٩٣ من مجلة (التراث الشعبي) يعود العلوچي بعد انقطاع عن الكتابة دام عشرين سنة ! أستطيع ان اسميها (سنوات القطيعة) .

ويؤسفني أن أقرأ للعلوچي في هذا المقال الطريف اشارة منه الى ان (عبد الرحمن بن اسماعيل) المعروف بـ (وضاح اليمن) قد شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وبنساء البلاط الاموي ، فأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بدفنه حياً في بئر .

لقد انساق العلوچي وراء الدعايات الشعوبية التي دست وطعنت بالشرف والنسب العربي ، وما كنت أرجو أن ينزلق العلامة الى هذا المنزلق ، لاسيما وأنه كان مطلعاً على كتاب (مأساة الشاعر وضاح) التي ألفها العلامة محمد بهجت الاثري (رحمه الله) ، وكان ذلك الكتاب نموذجاً رائعاً للنقد العلمي النزيه ، وأظن أن العلوچي كان متأثراً باحمد حسن الزيات الذي صَدَّق بتلك الفرية ، وأعني بها ، علاقة وضاح اليمن بالرفيعة النسب والحسب (أم البنين) ، وهي علاقة مختلفة .

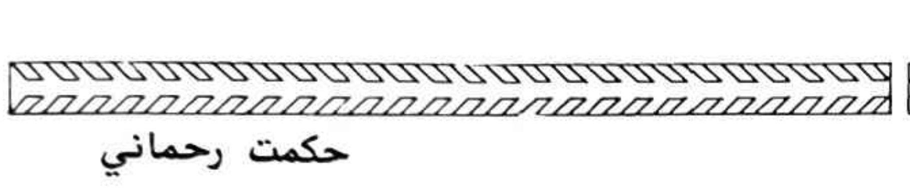
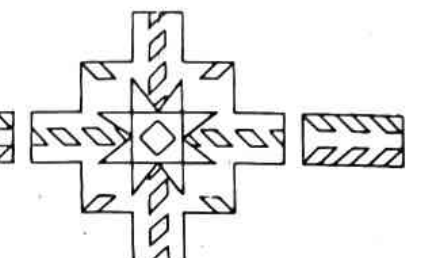
يذكر ان مساجلة عنيفة كانت قد جرت بين الاثري والزيات ، ثم جمعها الاثري في كتاب مستقل عام ١٩٣٥ . سامح الله العلوچي ، فلكل جواد كبوة .

١١ . إلى أين .. ايتها الالقاب ؟!

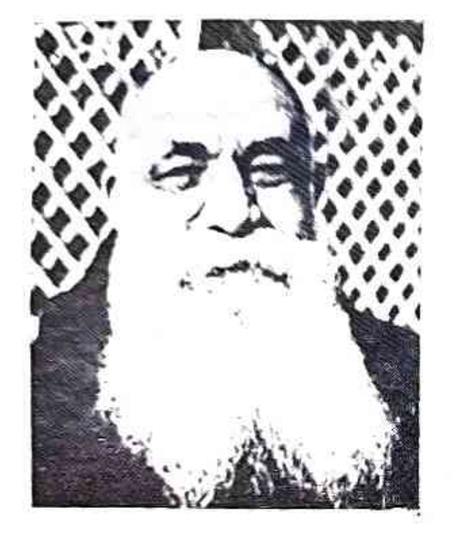
أما آخر عنقود العلوچي في ميدان الكتابة لمجلة (التراث الشعبي) فكان المقال المنشور بعد وفاته في العدد الأول ـ ١٩٩٦ / فقد رحل الرجل عشية عيد الميلاد يوم ٢٦ كانون الاول ١٩٩٥ . ويقترح العلوچي في تلك المقالة الممتعة أن تلقَّب السيدة والآنسة والست العراقية بلقب (الماجدة) على صعيد المراسلات والاوامر الرسمية والتخاطب اليومي والمعاملات القانونية .

الخاتمة

رحم الله العلوچي عبد الحميد ، فقد كان عاشقاً متبولًا للتراث الشعبي ، وكان متبحراً في هذا الميدان ، وكانت كتاباته المبكرة هي التي حفزت جيل الشباب لنشر روائعه في مجلتنا الاثيرة ، وكانت الحصيلة : ثروة فولكلورية نباهي بها الشرق والغرب .

حكمت رحماني



من رواد التراث الشعبي العراقي

الاب انستاس ماري الكرملي والتراث الشعبي

ياتي العلامة الاب انستاس ماري الكرملي (المتوفى ببغداد في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٧) في طليعة الباحثين والدارسين للتراث الشعبي الذي يشمل العادات الشعبية والاغاني الشعبية والحكايات الشعبية الى ما هناك من الامور التي تشملها هذه الكلمة الواسعة اي « التراث الشعبي » . فنرى الاب الكرملي يورد في معجمه الشهير بالمساعد (وهو قيد التحقيق الان) يقول في باب الفاء مادة الفولكلور . ما يأتي : الفُوْلُكْلُوْر Folklore هو « مأثورات العامة ، او المعتقدات الشعبية ، هو علم القوميات ، وقد الف فيه العرب في السابق . ومن هذه التآليف ما وضعه ابو عقال الكاتب . قال المسعودي في مروج الذهب الجزء ٥ : ص ٨٨ (من طبعة باريس) : « وقد صنف ابو عقال الكاتب كتاباً في اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه الملهي » ٥١ بحرفه . من هذا يتضح ان الكلمة واسعة المعاني وتشمل العديد من الفعاليات والتقاليد والعادات والامور الاخرى التي تدخل ضمن هذا الباب .

وقد بحث الاب الكرملي في مثل هذه الامور منذ اواخر القرن التاسع عشر ، فنرى مقالاته العديدة في هذا الشأن منشورة في مجلات المشرق والهلال والمقتطف وغيرها من المجلات الشهيرة ولا سيما مجلته المعروفة « لغة العرب » التي انشأها في بغداد وصدرت في غرة تموز من عام ١٩١١ . كما اهتم الكرملي بتاليف كتب تبحث في هذا المجال (اي التراث الشعبي) نذكر منها :

١ ـ امثال بغداد والموصل العامية النصرانية ، مع حكايات عامية ايضاً .

وقد بدأ بتدوينها منذ عام ١٩٨٥ . قال في مقدمة الكتاب وهو برقم ٩١٠ (محفوظ

في دار صدام للمخطوطات) : ان الامثال هي صورة حكمة العوام ، وهي من احسن الحكم لانهم تناقلوها خلفاً عن سلف فثبتت في ادمغتهم وانتفعوا بها كل الانتفاع ، ولا يزالون يتناقلونها الواحد بعد الاخر . ولما رايت فائدة عظيمة في تدوينها تخليداً لها بالكتابة دفعتها الى احد الادباء لينقلها بخطه الجلي . وقد بدأت بجمع هذه الامثال وهذه القصص منذ سنة ١٨٩٥ ولم ادفعها للتبييض الا سنة ١٩٣٢ بعد ان اجتمع عندي قدر كافٍ يستحق هذا العمل » . والكتاب مرتب على حروف المعجم نقتطف منه هذه الامثال :

حرف الالف :

احكي على نفسي　　ولو دفسوني الف دفسي
اقشمر على نفسي　　احسن متقشمرني النَيْش
العب بالمكصكص　　على ما يجيك الطيار
إيكذ ابو كلاش　　ياكل ابو چزمه
إيموت الديك　　وغينو بالمزبلي

حرف الباء :

بت الكعدة وبت الشيب لو دللناها ما هو عيب .
بين العاقل والمجنون اكو شعفايي .
باوع بالچهره واضرب السطره
بنتي سعيدة مني بعيده
بني ادم مجبول من الطمع . ما يشبع الا من حفنني تراب .

حرف التاء :

تبديل الهوا احسن من الحكيم والدوا
تيتي تيتي مثل ما غحتي جيتي
التاجر فلوسو احسن من الولد

تعلمت البزوني على بيت الشماع (ويروى الشماس لانه يحفظ شمعاً عنده) وهكذا يستمر الكتاب الى نهاية حرف الياء . يعقبها بعض حكايات عامية منها : هايي صاغت بزمان احمد آغا . والثانية وافق شن طبقة والثالثة تفسير ولا ولا ولا . والرابعة الخليفة وجعفر البرمكي والقصاغ . والخامسة احكيّة جمعة الحمال .

٢ ـ ديوان التفتاف .

او « حكايات بغداديات » . يقول في مقدمة الكتاب : « هذه الحكايات ملتقطة من افواه النساء المسلمات ولاقطها هو المعروف عند العرب باسم التفتاف او المتفتف جمعتها لي على لغتها العامية البغدادية لاحفظها بثوبها التي نسجت فيها وحرصاً على تدوين اللغة العامية الاسلامية البغدادية . بغداد سنة ١٩٣٣ يشتمل هذا الكتاب على ٥٥ حكاية من حكايات النسوة البغداديات واليك مثال من الحكاية الاولى كما وردت : أهناك مهناك أكو فرد

مرة لا تحبل ولا تجيب كالت بيوم الا حبل وأجيب ولد افصّل اهدومه عند « خاليت الهم » . الله انطاها حبالتها وكامت تدور على « خاليت الهم » حتى اتفصل الهدوم دورت ولكتها وجتي الى بيتهم كعدت دتريد تفصل الهدوم باوعت يمنة ويسره شافت ضبة عصي محطوطة بالطشت شافت جامناك رجال اربطها ليخاليت الهم وكام يضرب بيها بالعصة وهو كل يوم يضربها ثلث اوكات : الصبح مايه والظهرماية والمغرب مايه . المرة كالت إلها : آخر الخاطر الله انا جيت افصل عنج اهدوم وآني شفت هذا ذنبج نعتوج « خالية الهم » شنو قصتج كالت الها اسمعي يا خالة ... الخ . والكتاب محفوظ في (دار صدام للمخطوطات برقم ١٥٨٠) . وقد علمنا منذ مدة ان الاستاذ عامر رشيد السامرائي قد انجز تحقيقه وسوف يدفع به الى الطبع .

٣ ـ كتاب مزارات بغداد :

باللغة العامية البغدادية . ثم يتبعه تراجم لبعض العلماء العصرين . وقد بدأ بجمعه الاب الكرملي في سنة ١٩١٣ كما مدون في صدر الكتاب يحتوي هذا الكتاب على الزيارات الاتية بحسب تسلسلها :

١ ـ زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني للاستغاثة به ص ٢ .
٢ ـ معالجة المجنون ص ٣ .
٣ ـ معالجة المحموم ص ٦ .
٤ ـ تقديم النذور ، ونذر من تتزوج من النساء ص ٨ .
٥ ـ عوائد عوام المسلمين في العيد الصغير (وهو عيد الفطر) ص ١٦ .
٦ ـ زيارة الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ص ٢١ .
٧ ـ مراسيم المولد النبوي في المعظم ص ٢٣ .
٨ ـ زيارة الامام موسى الكاظم عليه السلام ص ٢٥ .

ثم بحث في السعفة ومنافعها وماذا يعمل منها . وهناك بحث في العاكول مال الشيخ جميل [1] ص ٧٢ . ثم مراسيم زيارة كل من السيد سلطان علي والشيخ عمر السهروردي والشيخ محمد الغزالي ... الخ .

والكتاب يحتوي على (٢٠٣) صفحة وهو محفوظ في (دار صدام للمخطوطات) برقم ١٨٢٦ .

٤ ـ حكايات عامية شعبية .

(منقولة عن لسان عبد اللطيف ثنيان)[2] هذه الحكايات موجودة في الصفحات ٥٩٦ ـ ٦١١ من كتاب « خواطر علمية وسوانح دينية ومنثورات ادبية ولغوية وتاريخية » الذي ابتدأ به في ١٠ تموز سنة ١٨٩٥ [3] من هذه الحكايات المذكورة في هذا الكتاب :

١ ـ حكاية الاعجمي والعالم .
٢ ـ الفروة والصبي .
٣ ـ كل عشرة من طينة .

٤ ـ المغني والخليفة .
٥ ـ البصل من النمنمات ... الخ .

هذا في مجال الكتب المؤلفة اما في باب المقالات فقد نشر الكرملي مقالات عديدة وساعد اخرين على نشر ابحاث في الادب الشعبي والاقوام والجماعات ومنها تقديمه لكتاب الشاعر الكبير معروف الرصافي : « دفع المراق في كلام اهل لعراق » المنشور في مجلة لغة العرب [٤] الذي يقول فيه الرصافي : « تنبيه الافكار الى ادبيات العوام فان الادبيات الخاصة بالعوام موجودة عند جميع الامم . وتختص ادبيات العامة لانها هي الواسطة الوحيدة لمعرفة ما للسواد الاعظم من الافكار والعادات فاذا اردت ان تعرف ما هي عواطف السواد الاعظم من كل امة وما هي عاداتهم التي جروا عليها وافكارهم التي يفتكرون فيها وميولهم التي يميلون اليها فانظر في كلام طغامها وادبيات عوامها » . فان الكرملي قدم كتاب الرصافي هذا مشيراً الى وجوب تسجيل المأثورات الشعبية من كلام وعادات وتقاليد لئلا تضيع مع الزمن .

ومنه نشره لمقال « تفكهة الاذهان في تعريف ثلاثة اديان »[٥] وهم الصارلية والباجوران والشبك فانه افاضها في ذكر هؤلاء . ويعد مقاله هذا اول مقال يبحث عن احوال هؤلاء الاقوام الساكنين في مناطق شمال العراق . كذلك مقاله النفيس الذي نشره في مجلة المشرق بعنوان « إطلاع الحضر على أطلاع النور »[٦] . هذا فضلًا عن تتبعه امثال العوام وتحليلها وشرحها والمناسبة التي قيلت فيها واصولها ومنابعها[٧] . الى غير ذلك من الامور التي تدل على باع طويل ونظرة مستقبلية وجلد وصبر كبيرين . رحم الله الكرملي وامثاله الذين حفظوا لنا تراث الاجداد من الضياع . واخيراً ندعو المعنيين بالامور التراثية الى الانتفاع بهذه المؤلفات والقيام بتحقيقها لتتم الفائدة المرجوة منها والله من وراء القصد .

الهوامش :

١ ـ الشيخ جميل :

هو الشيخ جميل بن عبد الرحمن البغدادي وهو من الاولياء المشهورين يقال انه توفي بحدود سنة ١١٤٠ للهجرة = ١٧٢٧ م ومدفون في مقبرة باب الازج خارج باب الشيخ عبد القادر الكيلاني .

٢ ـ عبد اللطيف ثنيان :

اديب كاتب ، تاجر ، راوية للاحاديث الشعبية . له كتاب (الالفاظ العامية البغدادية) ما يزال مخطوطاً عند ولده يحيى . توفي في ٢١ نيسان من سنة ١٩٤٤ .

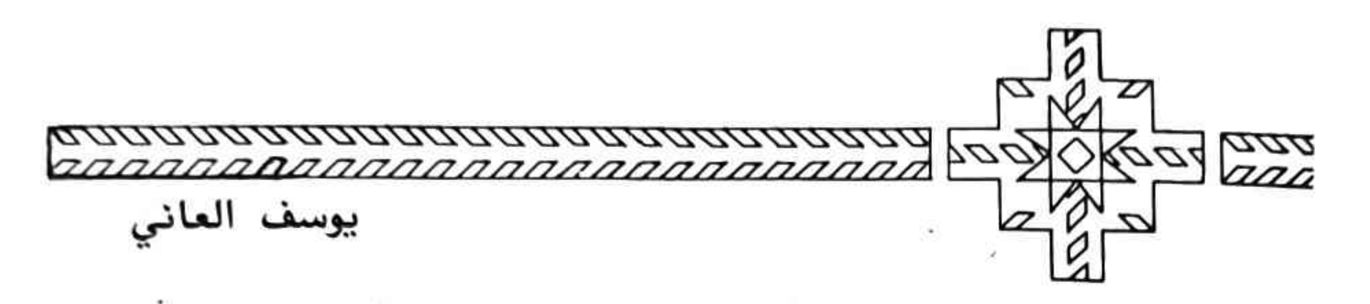
٣ ـ انظر فهرست مخطوطات دير الاباء الكرملين ببغداد . اعداد حكمت رحماني المنشور في مجلة المورد المجلد ٢ (١٩٧٣) العدد ١ : ص ١٥٤ ـ ١٦٨ .

٤ ـ لغة العرب ٤ (١٩٢٦) : ص (٨٤ ـ ٨٨) .

٥ ـ مجلة المشرق البيروتية ٥ : (١٩٠٢) ص (٥٧٧ ـ ٥٨٢) .

٦ ـ مجلة المشرق البيروتية ٥ : (١٩٠٢) ص (٨٦٥ ـ ٨٧٦) وما بعدها .

٧ ـ انظر مجلة لغة العرب ٣ : (١٩١٤) ص (٤٩٢ ـ ٤٩٥) .



يوسف العاني

لمناسبة تكريمه في معهد العالم العربي بباريس



أنيســـة !

« سالوفة مسرحية ...

أو : سالوفية ... ! »

الاهداء ...

الى قديسة مسرحنا العراقي ،
آزادوهي صاموئيل ... !

١٩٩٥/٥/٥

● الشخصيات التي تظهر على المسرح :

× × ×

١ ـ الام ـ ام سالم ..
٢ ـ الافعى ـ أنيسة ..

× × ×

● الشخصيات التي نستمع الى اصواتها :

١ ـ الاب .
٢ ـ سالم ـ صغيراً ثم شاباً ..
٣ ـ عبود ـ مالك الدار
٤ ـ ناس .. واطفال ..
٥ ـ مُشاهد او مُشاهدة ـ من القاعة .

مـقـدمـة :

يمكن ان تقدم هذه « السالوفة » المسرحية في أي مكان .. لا حاجة لديكور بتفاصيله . ما دامت هناك زوايتان متقابلتان زاوية للام والاخرى لـ « أنيسة » شريطة ان تتوفر الحياة لكليهما : أتمثل تقديم هذا العرض في منتدى المسرح ببغداد او على أي مسرح دائري او مستطيل او بيت من البيوت .. فادوات العرض بسيطة .. الام تصف كل شيء وتستعمل أدواتها كما تريد وتوزع حاجات او أثاث البيت البسيطة جداً لترسم المكان وحتى الزمان بها وإن عجزت فانها تستطيع ان تصف كل شيء من خلال « السالوفة » واحداثها التي تنقلنا أجزاء منها الى جو « جداتنا » او « أمهاتنا » يرحمهن الله ، وهن « يسولفن » لنا تلك الحياة .. وأنيسة واحدة منهن يوم كنا نضع رؤوسنا في حضن تلك الجدة او الام او الخالة او واحدة من جاراتنا الطيبات وآذاننا وعيوننا ترقب الشفاه تحكي وترسم شخصيات واجواء الحكاية ورؤوسنا صافية نقية لم يملأها الراديو ولا التلفزيون باحداث عالم رديء انقلبت فيه موازين الحضارة لتخرب وتعبث وفق اهواء الشر باسم الخير والانحطاط باسم التقدم فيختلط الحابل بالنابل .. وتصبح سوالف وحكايات الخير والمحبة والنقاء الانساني .. اساطير تاتي من عالم آخر ، عالم غريب بعيد بعيد !!

لا .. في هذه السالوفة المسرحية ذاك العالم يصبح قريباً منا نراه ونسمعه ونالفه ، ولا تهمنا الصيغة سواء كانت سالوفة أم مسرحية ... روايةً ام تمثيلًا مادام الصدق في الاداء اساساً فيها ، والتعبير عنها عمقاً إنسانياً يتخطىء الصيغ التقليدية الجامدة ..

إنها باختصار ليلة « أنيسة » على النفس والروح أصيلة من تراث هذا الشعب الذي نسى بعضاً من تراثه فلنذكر به .. عبر أم سالم وانيسة !

ومن خلال هذا النص الذي اسميته « سالوفية .. ! » .

ملاحظات قد تنفع المخرج .

● نحن نعرف في تراثنا الشعبي « الحكواتي » او كما تسميه في العراق « القصخون » الذي يقص الحكايات الطويلة المشوقة ، وهو ضرب من ضروب مسرحة الحكاية ..

اذن يمكن الاستفادة من هذا اللون في اخراج السالوفة المسرحية والتي اسميتها إختصاراً « السالوفية ! » كما اسميت تقديمي لعرض مسرحية الملا عبود الكرخي ومحاضرتي عنه في لندن عام ١٩٨٥ بـ « المحاضرية » .

● هناك مشاهد تمثلها الام مع اصوات أبنها او شخصيات اخرى يمكن ان يكتفى برواية الحادثة من قبل الام وحدها والعكس ممكن ، اعني ان تتحول اجزاء من روايتها للسالوفة الى حوار بينها وبين ولدها او بينها وبين « أنيسة » .

● بالامكان وهذا افتراض لا أميل اليه . ان تُنتزع الاجزاء المروية والمحكية من قبل الام

فتُصاغ لها مشاهد حوارية مع استدعاء الشخصيات وبذلك تكون هذه « السالوفية » مسرحية تقليدية تتغير فيها المناظر وتتجمع الشخصيات فتفقد السالوفة أثرها فلا نضيف شيئاً الى هذه التجربة .. والتي اعتقد انها محاولة طريفة وتجربة في النص وفي اداء الممثل وفي الاخراج .

يوسف

ـ « تخرج الام لتقف وسط البيت ـ او مايسمى البيت رقم ١ ـ تنظر الى الجمهور الجالس امامها او حولها .. وتنطلق بصوت عال :

الام ـ ايها المسرحيون الذين تحكون عن المسرح وتمثلون في المسرح واحياناً تضحكون على المسرح ولا تُضحكون وتبكون فيه ولا تُبكون .. المسرح عندكم مكان لكم تحققون فيه ماتريدون وترسمون من وما تتخيلون وانتم الذين .. انتم الذين .. « تتلفت يمنة ويسرة وكانها تشعر بارتكابها خطأ وان خللًا قد أصاب العرض منذ البداية .. »

لا .. لستم انتم الذين .. بل أنا التي تجاوزت الحدود ونسيت انني أسولف ، او أروي لكن « سالوفة » .. لقد عدت الى الطريقة ذاتها .. وتخيلت نفسي اقدم مسرحية كلاسية وان عليَّ ان اعلو بصوتي واتسع باشارتي .. وان اخاطبكم وكانكم ـ عفواً ـ عبيدي في روما حنانك !!

نسيت فعلًا .. واعتذر .. فان كنت قد اوشكت ان أدينكم فانا أدين نفسي .. لانني واحدة منكم ، من هذا المسرح الذي نُسال ونحاسب عنه جميعاً بلا إستثناء ..

عفواً مرة اخرى .. فانا كما قلت .. أود ان أحول هذا اللقاء الى لقاء عفوي فيه « سالوفة » وفيه اجزاء من التمثيل الذي نعرفه .. التمثيل الصحيح .. الحلو الخالي من الزعيق والرتابة والـ.. إيه انتم تعرفون ـ ماعني ..

ياجماعة الخير .. لاتزعلوا مني .. فانتم كثيراً ماتنسون ناساً إبتلعتهم الحياة ، الحياة التي لاتخضع لسنين ولاينظمها دستور ولاتحكمها قوانين هذا الزمان ولاتحسبُها قياسات الرياضيات .

لا .. هناك قوى فوق كل هذه الاعتبارات تسير أحياناً او في كثير من الاحايين ، حياتنا .. وحياتي انا بالذات او سيرة حياتي بكلمة أصح .. ولهذا صرت او صارت حياتي سالوفة .. مالوفة او غير مالوفة .. ربما كانت مثلي اخريات او آخرون ..

« تبدأ تروي بكل هدوء واسترخاء ومحبة »

هؤلاء طوقتهم قوى وقوانين اخرى نبعت من الروح .. نعم الروح ! .. « تضحك » قد لاتعرفونها اليوم ، فالروح صارت شبحاً .. واصبحت ماديات الدنيا جوهر كل الاشياء .. هكذا ارى الحياة الآن .. اعذروني فقد صرت .. « تتدارك » عفواً صارت سالوفتي انا ايها المسرحيون .. ايها الجمهور بقايا ماكان ..

فسروا كل ماترون كما تفسرون نعم فسروا كما تريدون .. ولكن .. ولكن شيئاً واحداً ضعوه امامكم وانتم ترون كل ماسيجري هنا او تسمعون عنه في هذا المكان الذي سميناه منذ زمن خشبة .. ثم صار بناء وتحول الى منتدى او مسرحاً دائرياً او دواراً .. « تدور » .. اوف لاأحب هذا الدوار .. ! دائرياً او مثلثاً او مستطيلاً احسن .. ! « تضحك » .. أقول ضعوا امامكم وانتم تشاهدون او تسمعون : ان الحياة آرحب .. واغرب وابعد وأقرب الى كل خرافات الكون حين تكون حقاً وصدقاً وأمانة .. فاسمعوا وشاهدوا واحكموا بعد ذلك بالذي تعتقدون .. وعذراً ان اطلت لان الاطالة امتحان لي ـ كممثلة فان أحسستم بالملل فانا الفاشلة .. وان .. كنت « أنيسة » حلوة فانا ناجحة فلنبدأ بالسالوفة .. او كما اسماها المؤلف .. السالوفية ..

« طيلة الحديث تعيش الام مع المشاهدين لحظات ود ومحبة تحكي وعيناها تلتقيان بعيونهم .. وقد يتم تعليق منهم تتقبله الام برحابة صدر وانشراح .. وحين تبدأ السالوفة مباشرة تاخذ موقعها ووضعيتها وكانها تسولف فعلاً لكنها تنتقل الى التمثيل بعد ذلك حسب كل حالة تقدمها » .

الام ـ بسم الله الرحمن الرحيم ...

كان ياماكان في زمان قبل هذا الزمان ..

كنت أماً .. أماً أملك ولداً واحداً هو كل حياتي ، حين صارت الحياة عندي سفينةً فقدت ملاحها وشراعها . فقدت شريك عمرها .. على غفلة منا جميعاً .. ذات ليلة قالوا سكت قلبه ...

« همهمات واصوات » ..

« تردد » سكت قلبه ! سكت . لكن ابتسامة ظلت كالقمر ، أسمعها تشيع في البيت .

« صوت الاب » سالم .. سالم .. « صوت ضاحك ينادي على سالم »

الام ـ سالم ولدنا ..

ابو سالم كان يريد سماع صوت سالم قبل ان يسكت قلبه .. ثم سكت .

« اصوات نواح وبكاء .. »

الام ـ سالم صار ولدي وحدي ..

سالم كان قصيدة شعر .. هكذا كان يسميه ابوه . انا كنت أسميه « بوذية » بلا عتابة ! فقد كان وصار ضحكتي حين يلعب « ياحمصة .. يازبيبه .. وقت العشا .. تشريبه » او حين يقرأ ويكتب ..

صوت سالم . زيزي .. زيزي ..

زيران إن ..

نوري رازي .. دار داران ..

قبقاب قدوري ..

الام ـ « تضحك » وكنت اضحك على قبقاب قدوري ..

وراح يكبر وانا أرقبه كشجرة قداح ..

صوت سالم ـ عش هكذا في علو ايها العلم   فاننا بك بعد الله نعتصم
« تصفيق »
صوت سالم ـ وقد كبر بعض الشيء .
كم يـــــدعي وطنيـــــةً   مَنْ لم تكن مـــــرت ببـــــابـــــه
فتـــراه ينفـــخ لاغيـــاً فيهـــا   وينفـــخ في جـــرابـــه
ليكـــون مكتسبـــاً بهـــا   مـــالاً تهـــالـــك في إكتســـابـــه
فكـــانمـــا هـــو صـــائـــد   وكـــانمـــا هي من كـــلابـــه
الام ـ واضحك ايضاً واقول من أين تاتي بهذا الكلام .. فيقف امامي ويقول ... انه كلام الشاعر معروف الرصافي .. طلب منا مدرس اللغة العربية ان نحفظه ..
وحفظت معه كثيراً من الحكايات والكلمات وجزءاً من جدول الضرب ولم افهم حتى الآن لماذا يسمون الارقام مع بعضها ضرباً .. المهم ..
صار سالم شاباً تلميذاً نجح في كل السنوات .. ثم أحسست انني تعبت قليلًا .. فانا وحدي .. أتسلم راتب ابيه التقاعدي وأصرف عليه .. لاأصرف على نفسي قبل أن ياكل هو ويلبس هو ويفرح هو ..
ثم قال لي ذات يوم ..
صوت سالم ـ ماما .. سامتحن هذا العام وسانجح ..
الام ـ انت تنجح دائماً ..
صوت سالم ـ يعني اكتفي بالبكلوريا .. واتعين .. اكون موظفاً مثل أبي ..
الام ـ هذا يسعدني ياحبيبي اكون أنا أم الموظف .. هاها .. أي أرض تحملني وأنا أمشي عليها ..
أنت من ؟ « تمثل الحالة »
أنا أم الموظف .. كنت زوجة موظف والآن ابني موظف ...
سالم .. متى .. ؟

صوت مدير الادارة والذاتية ـ امر وزاري .. يعين السيد سالم عبدالكريم على ملاك وزارة .. « صمت »
الام ـ صار موظفاً .. طول وعرض وهيبة .. قلت انتهت متاعبي .. اول امنياتي تحققت لسالم ولي .. حين عاد في يوم صدور امر تعيينه . كان سعيداً لم يفكر الا بانه سيستلم وظيفته ويدخل كما كان يقول : معترك .. اي .. معترك الحياة .. ولكن .. كان تعيينه خارج بغداد .. اوشكت ان أبكي .. كيف سافارقه .. ضحك هو ...
صوت سالم ـ ماما تخافين عليّ .. انا ابنك سالم ..
الام ـ تروح وتجيء مسافة ثلاث ساعات .. والطريق غير معبد .. و ..
صوت سالم ـ همم الرجال تزيل الجبال ... !

الام ـ صحيح . سالم كان رجلًا ونعم الرجل .. تعال ابني نام نام بحضن أمك ..
« تبدأ بالغناء له »
دللول يلولد يَبني دللول ...
عدوّك عليل وساكن الجول ..
ونام يابني والنومة هنية
أو نوم الغزيل بلثنية .. « صمت »
الام ـ إي .. سافر .. صار موظفاً في الكوت .. التقى بموظف آخر معه من خارج الكوت وأجرا بيتاً صغيراً .. صار له بيت ..

نظم حياته بنفسه .. لم أكن أصدق .. جاءني نهاية الشهر .. وضع بيدي اول راتب تقاضاه قبلني .. قبلته واحتضنته .. شممت كل عطر الدنيا فيه .. لكنه لم يسالني كيف عشت تلك الايام وحيدة دون عطره ووجوده ولحمه ودمه وأنفاسه ! .. لا لم يسالني .. « تقف » كنت أسير كالمجنونة ..
« تردد » سالم يمة ؟ ماذا أكلت ؟ ماذا لبست ؟ هل نمت براحة ؟ هل كان عشاؤك ثقيلًا على معدتك ، يوم سالم ؟ غيرت ملابسك ؟ النظافة من الايمان علمتك ان تكون نظيفاً في كل شيء ..
يوم سالم : اتقِ البرد .. أخاف عليك من الزكام .. لاتستعمل غير صابون ... « ابو الهيل » وتعطر بماء الورد .. لقد صنعته بيدي »
اقرأ سورة اعوذ برب الفلق كل صباح وقبل ان تنام اقرأ آية الكرسي سبع مرات ! يوم سالم !
ضحك حين أمسكت به كانني أمسك حمامة طارت مني ...
صوت سالم ـ ماما أنا رجل اعتمدي عليّ ..
الام ـ طبعاً انا اعتمد عليك ، لكن أخاف عليك ..
صوت سالم .. لاتخافي .. في الدائرة كلهم يحبونني ورئيس الدائرة يكلفني بالاشغال الصعبة .. انا أقوم بها . لاتخافي عليّ ..
الام ـ طيب لن اخاف عليك .. « مع نفسها » أكذب على نفسي .. ولكن كم سيبقى في الوظيفة خارج بغداد .. ؟
سالت مرة ..
قال : انا مرتاح ..
طيب .. وانا .. اريد ان ازوجك وافرح بك واملا عيني باطفالك قبل ان اموت ..
جاءني نهاية شهر يحمل لي بشرى ...
صوت سالم ـ ماما ؟
الام ـ عيون ماما ...
صوت سالم ـ ماذا تتمنين لي بعد أن صرت موظفاً ورجلًا ..

الام ـ اريد ان أزوجك ...
صوت سالم ـ واذا قلت لك .. انني وجدت هذه الزوجة ...
الام ـ هنا ... « تزغرد .. ثم تنهض لترقص على اغنية مرحة »
« الليلة حلوة .. حلوة وجميلة »
« تتوقف فجاة عن الرقص ، وينقطع الغناء »
الام ـ ها .. وجدها .. هو الذي وجدها .. ولست أنا ! من هي من تكون .. وجدها هناك وليس هنا .. كيف ؟
الام ـ سالته .. راح يحكي الحكاية ..
« تمثله » ماما .. بعد ان أجرنا البيت انا وزكي الموظف معي في الدائرة .. خرجت صباحاً .. وجدتها امامي حلوة حلوة .. كانت تنشر الملابس على سطح البيت .. كانت تبتسم لي .
في اليوم الثاني ابتسمت ايضاً .. وظلت تبتسم كلما راتني ..
قلت له .. والنتيجة ..
ضحك وقال : عند خديجة ..
ومن هي خديجة ؟
قال أمها .. ومن أين عرفت أمها أمها كانت خالة زكي زميلي . في البداية لم يقل لي ذلك .. فبين امها وأمه خصومة قديمة .. المهم ياماما .. علمت أنها يتيمة تعيش مع أمها في هذا البيت ..
يعني مثلما اعيش انا وأنت .. مثلما كنا نعيش انا وأنت في هذا البيت .. صحيح .. !
ثم راح يردد أنه يحبها وهو متاكد انه سيسعد معها .. وأنا أنصت اليه والى بريق عيذيه وسعادته التي تغمره بلا حدود ..
وسافر .. ونسيت الموضوع .. ثم جاء في نهاية الشهر وقبلني .. وقال :
صوت سالم ـ ماما .. أم زكي تصالحت مع اختها ..
الام ـ اخت من ؟
صوت سالم ـ تصالحت مع خالة زكي أم الفتاة التي تبتسم لي .. وام زكي تحدثت لهم عني كثيراً ..
الام ـ باعتبارك أبنها ؟
صوت سالم ـ لا .. صديق ابنها .. صديق زكي .. وانني موظف ممتاز وكفوء وشاب اخلاقه حسنة ..
الام ـ وماذا قالوا :
صوت سالم ـ اعجبوا بي .. « صمت »
الام ـ ام زكي خطبت له ـ كميلة . كان أسمها كميلة .. وجاء وزف لي الخبر .. خبر الموافقة المبدئية على ان اذهب انا لاتمام الخطوبة .. وبشرط .. « صمت »

ان يسكن سالم معهما .. مع البنت وامها .. ان يعيش وكما تقول « كميدي » ..
صوت سالم ـ وانت ؟
الام ـ أنا ؟ من انا الان ؟ من أنا أمام سعادتك انت ياحبيبي ...
صوت سالم ـ قلت لهم لا أوافق ان لم توافق أمي ..
الام ـ ووافقت ودموع باردة تتساقط من عيني دموع سعادة أم حلمت ان يتزوج ابنها سعيداً كما في الاساطير ...
لقد توسل بي .. ان أذهب معه لكي اخطب له .. او ان ـ اكمل الخطوبة .. ظل يتوسل واخيراً ..
« تنظر الى الجمهور وكانها تستغيثهم » واخيراً ..
« قد ياتي صوت « ذهبت » او « لم تذهبي » فتقول ..
لم أذهب !
« وكانها تخاطبه » قل لهم أنا مريضة .. متعبة .. ماقاموا به يكفي أنا أشكرهم عليه « صمت »
وراح .. !
« تتعالى موسيقى العرس .. من بعيد .. الام ظهرها على الجمهور ونشيج البكاء يتعالى مع الموسيقى .. تلتفت شيئاً فشيئاً وترسم ابتسامة على وجهها .. تريد أن تقول شيئاً لكنها وبعد فترة قصيرة تستجيب للموسيقى والاغنية وترقص وتغني حين يذوب الصوت ! » ..

× × ×

الام ـ تزوج سالم .. وبدأت الايام تتوالى عليّ ! الغريب أنني كنت قبل ان يتزوج لاأحس بفراغه الكامل في البيت ، بالعكس .. كان كل شيء منه يذكرني به .. بعد زواجه .. صار كل شيء منه وله .. يذكرني ببعده عني وفراغ البيت منه .. كنت ابكي .. ثم أتمثل السعادة التي وجدها في بيت زوجته كميلة ..
ولكن .. هذه الـ « لكن » ظلت تؤرقني .. صارت كميلة وبمرور الايام وكانها .. أستحي ان أقول ذلك ـ « تسكت »
صارت كميلة وكانها ضرتي .. ! اعوذ بالله من هذه الكلمة .. لكن إحساسي كان يحفر في نفسي مثل هذا الشعور الغريب ، ـ وكنت أبعد مثل هذه المشاعر التي لاأريدها .. واقتربت نهاية الشهر وانا أنتظر قدومه .. وقلت ربما سياتي مع عروسه .. وهيات مع نفسي إستقبالاً له ولعروسه واقتـرب الموعـد .. وجا ... ءت .. منه رسالة ..
« تمد يدها بجيبها وتخرجها .. وتقدمها .. لواحد من المشاهدين او المشاهدات »
الام ـ اقرأها من فضلك .. بصوت عال كي يسمعها الجميع ..

المشاهد ـ « يقرأ الرسالة »
أمي العزيزة .. « مع نفسها : بعد أمك يابه ! »
تحياتي واشواقي لك .. وتحيات كميلة التي تقبل يدك ونتمنى لك الصحة والسعادة ..
الام ـ الله يحفظها ويسلمها لك ..
المشاهد ـ « يستمر بالقراءة » انا متاسف جداً لعدم استطاعتي المجيء هذا الشهر .. ارجو ان تعذريني ..
الام ـ كيف لا اعذرك ..
المشاهد ـ الاصدقاء هنا والاقارب .. يُلحون على بقائي وتلبية دعواتهم الكثيرة ..
الام ـ « تخاطب قارىء الرسالة » .. من فضلك .. قال : « الاصدقاء والاقارب ..
المشاهد ـ نعم .
الام ـ اقارب ... صار لديه أقارب يمنعونه من المجي اليّ انا .. انا أمه .. أنا اقرب إنسانة له .. و .. مع ـ ذلك .. سكت .. و .. عذراً .. « تخاطب قارىء الرسالة » أكمل الرسالة رجاء .
المشاهد ـ اذا إحتجت الى شيء .. فخذي ماتريدين من عباس البقال ، يسجله ديناً عليّ ادفعه له حين أعود اليك نهاية الشهر القادم . وساحاول ان أجلب كميلة معي ..
الام ـ « تاخذ الرسالة من المشاهد » شكراً ..
قال اذا احتجت شيئاً .. « تصرخ بعمق » أنا احتاج اليك .. انت ولدي يا .. ياسالم .
وانا لن استدين من أحد فمازلت عندي حصتي من تقاعد أبيك .. لقد أعطيتك الجزء الاكبر لترتب حاجات زفافك وأبقيت جزءاً للحاجة .. وها هي الحاجة قد برزت امامي .. لن أستدين ..
وصبرت . ثم ... ثم ضجرت ..
« تلتفت الى الجمهور ..»
هل ضجرتم مني .. أو .. من السالوفة .. بالامكان ان نستريح قليلًا ثم نكمل العرض .. ؟
الامر متروك لكم .. !

× × ×

« تعود الام بعد انتهاء الاستراحة ان كانت هناك استراحة أو أنها تستمر في اكمال السالوفة .. وهي على اشد الحالات حرارة وحماسة .. »

الام ـ قررت ترك هذا البيت . والانتقال الى مكان أصغر أحصر فيه كل ذكرياتي عن

سالم .ولاأبقي فيه الا ذكريات الام التي ربت وتعبت وسلمت ابنها الى السعادة .. سعادته هو .. وما عادت تريد إلا .. حقها ...

« تتمالى بصوت حزين اغنية الام وهي تنادي ولدها ... »

« يابني العيون تريد منك سهرها ...

مابكت مثل بچاي خنسه الصخرها »

« تسكت »

الام – ووجدت غرفة صغيرة في بيت قديم قريب من البيت اوشكت ان اجره .. لكن اصواتاً كثيرة تعالت في وجهي :

الاصوات : هذا البيت مسكون ..

الام – مسكون ؟

الاصوات – مادخله أحد إلا ومات ..

او اختنق ...

او وجدوه مسموماً .

الام – انا لاأخاف الملائكة ..

صوت – « يقطع كل الاصوات » لا ..

ليس فيه ملائكة .. بل فيه أفعى سامة وغادرة !

الام – خفت اول الامر .. ثم فجاة ضحكت .. « تضحك » نعم ضحكت .. لاادري لماذا ضحكت .. فالافعى حيوان مخيف وغير مضحك .. لكن الذي حصل ان راحة نفسية سرت في جسدي وكل كياني .. وقررت ان أنسى كلام الناس والخوض التجربة .. واحافظ في الوقت نفسه على نفسي ..

ودفعت الاجار .. وانتقلت الى تلك الغرفة

« تبدأ بتغير الاثاث والاكسسوار بالشكل الذي يوحي بصغر المكان نسبياً وان يكون هناك جزء من سقف الغرفة .. ومكان تنام فيه .. وساحة امامها مكشوفة امام المشاهد .. »

الام – هذا هو مكاني الجديد ياولدي .. لاأدري ماذا أقول لك « صوت يتعالى من المكان باغنية عراقية شائعة .. »

الصوت – غناء – نوحي .. نوحي .

نوحي على العافوك ...

ياروحي نوحي ... الخ ..

« الام تؤشر برأسها فقط ...

الام – انام .. وانوح في حلمي .. عساه يراني في احلامه ..

« تهم بالنوم .. » يسود المكان الظلام .. ثم يتعالى شيئاً فشيئاً فحيح افعى .. ويطل رأسها من اعلى السقف وتظل متجمدة ..

الام لاتتحرك لكنها بعد حين وبعد تكرار الفحيح .
ـ ترفع راسها .. فترى راس الافعى .. »
الام ـ « مع نفسها » اذن ماقالوه صحيح .. « تصمت وهي تنظر اليها والافعى ساكنة لاتتحرك .. »
الام ـ ايتها الافعى ..
« صوت فحيح »
الام ـ هل نتعارف ..
« لا جواب » ..
الام ـ أنا أم ...
« فحيح يختلف عن الفحيح الاول »
الام ـ واعتقد انك أنت أم ايضاً .. فقد خلفت .. ولم يقولوا عنك انك عربيد .. بل افعى ..
هل تقتل الافعى الام .. الانسانة الام ؟ أما تعيش وحيدة كالصنم .. هل تقتلين هذه الام .. ؟ إنا سادافع عن نفسي وقد جلبت هذا « البطنج » سوف أحيط به نفسي حتى الصباح ... ثم أقرر ماذا أفعل « تنهض الام وترش « البطنج » حول المكان الذي تنام فيه .. الافعى تصدر اصواتاً كريهة ...
وحين تدخل الام في المساحة التي رسمتها بالبطنج تنزل الافعى بهدوء .. وتتكوم امامها في الزاوية المقابلة وهي تنظر اليها ... ! تظلان هكذا لفترة »
الام ـ سانام بامان وافعلي ماتريدين !
« ظلام وموسيقى »
« يتعالى الضوء عند الفجر .. تنهض الام .. ترى الافعى في مكانها .. تسلم عليها »
الام ـ صباح الخير .
« الافعى ترفع رأسها .. تظل بلاحركة لفترة من الزمن » .
الام ـ لاادري ماهو فطورك لاقدمه لك ..
« الافعى تنسل وتصعد الى السقف ثم تدخل الجحر الذي خرجت منه .
الام تراقب ذلك تنهض وهي تضحك .. »
أول ليلة مرت بسلام ..
« تقترب من الجمهور .. وقد تجلس قرب احد المشاهدين او المشاهدات .. »
الام ـ في اليوم الثاني فعلت نفس الشيء .. يعني ..
« وكانها تسال المشاهدين ليردوا بما تريد أن تقول .. أي انها رشت « البطنج » ونامت ... »
ثلاث ليال وأنا أفعل نفس الشيء وهي تفعل نفس الشيء أيضاً عند الفجر تنسل وتذهب الى مكانها وأنا اذهب الى السوق واعود وأطبخ لي شيئا من الطعام ..

وبدأت أسال ماذا تاكل الافعى .. عساني أقدم لها طعاماً ..
في اليوم الخامس نسيتها ونسيت أن أضع البطنج ونمت . إستيقظت مذعورة قبل الفجر .. تكومت في مكاني وسحبت نفسي خوفاً .. رفعت الافعى رأسها وصدر منها فحيح اخافني .. وبدلًا من الهجوم عليّ .. انسحبت بهدوء وصعدت الى السقف وكانها تضحك عليّ !

في اليوم التالي قررت الا اضع البطنج حولي واجرب .. انها مغامرة . وجاءت بوقتها .. وتظاهرت بالنوم ..

« الافعى تنزل لتتكوم في مكانها .. تحرك راسها ثم تعود لتصعد الى السقف بعيدة عن الام ..

ترفع الام راسها وتنظر اليها ..

الام ـ ابتعدت عني كي تشعرني بالامان .

« تقترب الام »

الافعى ـ تدخل رأسها في الثقب .

« الام تبتعد .. الافعى تخرج رأسها .. »

الام ـ يا .. إنها تلعب معي .. أي والله ظلت تلعب معي حتى نمت لاصحو فاراها في مكانها المعتاد أمامي دون أن تتجاوز حدودها المكانية ...

وانتهى كل شيء وصارت الافعى سلوتي وبدأت أضع لها الطعام .. رملًا وبعض الخضرة .. ولم تعد تفارقني عنه الفجر .. بل تتحرك بعيدة بعض الشيء عني تراقب حركاتي وسكناتي .. وحين أخرج الى السوق كانت تبقى في الغرفة وكانها الحارس الامين ..

وطرق الباب يوماً سالم وقبل ان يدخل زحفت بسرعة خارقة لتختفي في السقف . ولكنها كانت تخرج رأسها بين الحين وكانها تراقب سالم ..

وسالم .. لم يات بكميلة زوجته .. بل جلب لي فلوساً اكثر من حاجتي وطمانني واشعرني بحنان زاد عن الحاجة .. قبلته واحتضنته وبكيت دمعاً بارداً .. واتفقنا على أن لايكثر من زياراته لي مادامت .. «أنيسة» نعم سميتها « أنيسة » تزيح وحشتي وتملأ فراغ المكان لا القلب ! ولم يسالني من هي أنيسة .. وراح .. !

وعشت معها نتحادث .. انا اتكلم وهي تتحرك داخل الغرفة .

« تمثل الام حديثها مع أنيسة »

الام ـ أنيسة .. يعني إذا صار عند سالم طفل . لابد ان اراه .. في هذه الحالة .. اتنازل وأذهب الى هناك .. ام أطلب ان ياتي به اليّ لكي اراه ...

« تنسل أنيسة دون أن تراها الام » ..

وإذا رفض واصر أن أذهب معه ..

« تلتفت الام فلاترى أنيسة »
الملعونة تركتني وذهبت .. تشمرني احياناً أنها لاتحب سماع بعض كلامي ..
وسارت الحياة مع أنيسة في هدوء وراحة بال .. وذات يوم .
صوت صاحب ـ الغرفة ـ
ـ ام سالم .. نهاية هذا الشهر تتركين الغرفة ...
الام ـ اترك الغرفة لماذا ؟
الصوت ـ اريد ان أهدم البيت واعيد بناءه ..
الام ـ اذا كان الاجار الذي ادفعه قليلًا انا مستعدة ان ازيده ..
الصوت ـ لا ـ اتركي الغرفة نهاية الشهر وبدون تاخير ..
« صمت »
« أنيسة في السقف وكانها استمعت الى ماقاله صاحب البيت .. فحيح يصدر منها »
الام ـ كانت وكانها تنصت الى أوامر .. عبود صاحب البيت ..
وقضيت ثلاث ليال في غاية القسوة والمعاناة ..
« الام تجلس .. وامامها أنيسة »

« موسيقى فراق حزينة »

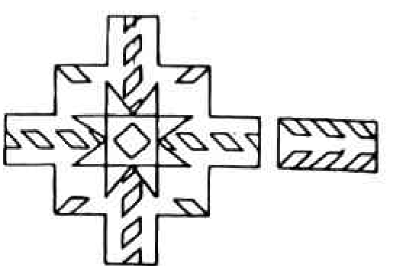
« يذوب الصوت ويعم الظلام »

× × ×

« الام ترتب مكانها الجديد ... »
الام ـ واستاجرت غرفة ليست بعيدة عن مكان غرفتي مع أنيسة .. لايفصل بين البيتين سوى الشارع ... وبقيت اترقب موعد هدم البيت علّني اجد أنيسة فاخذها معي .. وكنت احمل كيساً كي أضعها فيه .. ومرت أيام وأيام .. وصاحب البيت عبود لم يهدم حجراً واحداً ..
وذات يوم ..
« تتعالى اصوات .. بدأت بصرخة قوية من عبود .. «آخ »
ثم اصوات نواح .. وترديدات الناس » ..
الاصوات ـ الافعى قتلت عبود ..
الافعى لدغت عبود ..
مات عبود عبود .. مات ..
ـ« صمت »
الام ـ ماذا اقول ؟ .. هل ثارت انيسة من عبود لانه اخرجني من البيت بحجة كاذبة ؟

كان يصبغ الغرفة ويزينها ... حين هاجمته قال بعضهم اراد أن يؤجرها بثمن غال .. وقال آخرون كان يريد ان يتزوج فيها زوجة رابعة !
لكن أنيسة لم تتركه ليتمتع بالهدفين فقتلته .. !
اين أنيسة الآن .. ؟ لقد تقصدت حضور مجلس الفاتحة ثلاثة أيام متوالية .. وكنت أتسلل الى الغرفة عساني أجد أنيسة .. والكيس مخبا تحت عباءتي .. ولكنني لم أجد أنيسة !
وذات يوم وأنا في غرفتي صرخ اطفال المحلة ...
صوت اطفال - أفعى .. أفعى ...
أفعى كبيرة ...
« تركض الام الى الخارج .. ثم تتوقف .. »
الام - نعم . كانت هناك أفعى .. وكانت هي أنيسة .. لكنها كانت ميتة .. وجدتها قرب ثقب في حائط غرفتي المطل على الشارع كانت تحاول الدخول .. لكنها لم تستطع .. فهل انتحرت ! هل أصابها الاعياء ولم تستطع الدخول فماتت ؟ هل قتلها أحد المارة ؟
لاأدري ...
لقد حملت أنيسة .. وحفرت لها حفرة قرب الحائط ودفنتها فيها وانا أبكي .. لقد فارقت انيسة العزيزة وفي اليوم التالي .. ذهبت الى عباس البقال وطلبت منه ان يكتب لي رسالة الى سالم ...
« تسلم ورقة الى احد المشاهدين ..
أكتب من فضلك ...
الام - ولدي العزيز سالم ..
منذ البارحة اصبحت وحيدة .. أماً وحيدة .. لا أحد يؤنس وحشتي .. فقد فارقتني أنيسة الى الابد .. انيسة التي كانت تزيل تلك الوحشة . منذ اليوم لابد ان تكتب لي باستمرار ، وان تجعل زياراتك لي متقاربة .. او ان تاتي دائماً .. فانا الآن بحاجة اليك .. ياولدي ...
« تبكي »
« وتنتهي السالوفة .. او السالوفية »

تمت في ١٩٩٥/٥/٥



عماد الحاج حسن

الحقائق الروحية والجمالية للاحجار الكريمة

الجزء الأول

مقدمة :

عالم الحجر ..

لم يكن سوى عالم جمالي نفيس ، قد ابدعٌ خالقه فالبسه ثوباً جمالياً ، فتراه متألقاً تارةً يسرّ النفوس ، فتتعلق النفس في حبائل ذلك الجمال ، وتارة اخرى تخضع لحقيقة الاسباب التي اوجدها صانعه وخالقه فما من شيء في هذا الوجود ، الا وكان له حكمةُ فاعلة واضحة في وجوده ، هذه الحكمة المبهمة التي لايراها ولا يلمسها الا من خاض غمار هذا البحر المتلاطم بالانواع والاسباب لحياة لم نسلكها بعد ولم نفهمها لدقة نظامها وصعوبة عالمها .. هكذا وجَدتُ هذا العالم .

لم أحط به الا في مسلكين .. جماليته الباهرة ، وحيويته التي خرقت كل منعطفات المعرفة .. لتتحدث بفاعليتها ، ومترجمة بلغة عملية في حساب اسبابها ، فكان لكل نوع سبباً في وجوده وحكمة فاعلة تأخذ دورها في هذا الاحداث العظيم .

ولقد فاقت الحكمة والجمال وسلكت في نفوس الناس مسلكاً اكثر اتضاحاً في الحصول عليها من مآخذ الجمال ، وللحجر انواع شتىٰ ، كثيرة هي التي نراها ، والاكثر منها هي التي لا نراها ، ولا نعرف سرّها ، فكان ماأحاط به العلم واضحاً في النفوس ، وما ذكر عنه في المصادر والمراجع وفي النصوص القدسية منها .. حقيقته المثْلىٰ ، ومنها لم نستطع الوصول الى حكمته فكان دون المتناول ، حتى وان كانت حكمته احوج الى تطبيقات سرّه ونظام عمله ، كانت كريمةً بجمالها ونفاستها وروحها كذلك لحكمتها ودورها الفاعل من خلال عملها (السبب الطبيعي) في وجودها وكما اوجده الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان وصالحه ، وقد أخذت جاذبية الاحجار الكريمة مفتاح (جَنْيها) دون المرور بعللها وفوائدها سوى انها

كانت جديرة بالاقتناء من حيث صعوبة الحصول عليها وندرتها ، واذا ما علم الانسان اسبابها وفوائدها زاد طلبه عليها ، ومن هنا سندخل في حقيقة وجودها بـ (حيثيتها) لنرى بعد تطبيق ماروي عنها وفوائدها فما اخذنا ببعضها في حيز التطبيق لنجد صحة ماقالوا في المراجع القديمة عن الاحجار الكريمة .

١ ـ الماس :

هو أندر الاحجار الكريمة وجوداً ، واكثرها صعوبةً في استخراجه ، فهو ملك الاحجار ونبراسها ، فله من القوة ما لايضاهيه فيها احد من الاحجار .

في المراجع[1] اذا وضعت ماسّةً على سندان من حديد وضربتها بمطرقة من حديد ايضاً ، اما ان تدخل في السندان وامّا ان في المطرقة . وهنا يؤكد هذا الحجر قوته وصلابته ، وله من الالوان المستقلة بذاته .. حيث اصبح لونه وبريقه مصدراً لباقي الاحجار الكاربونية ، حين نرى حجراً ذا بريق حاد ، نقول انه ذو لون ماسّي او بريق ماسيّ ، ومن الوانه (الثلجي) لاقتراب هذا النوع بلونه من لون الثلج ومن الوانه الرمادي ، اذا كان غير نقي ومنه المائل للسواد لوجود الشوائب الداخلة في تكوينه ، وللماس قدرة عجيبة في بعض العلاجات المستعصية والتي اوضحها **المصدر** نفسه ادناه ، بانه يشفي حامله من مرض الصرع ، حيث له القابلية على قتل فايروس الدماغ او (المخ) باشعاعه الذي يخترق اصلب جدار عظمي في الانسان ، ولقد ثبت من خلال التجربة والبرهان ان لهذه الاحجار اشعاعاً يؤثر على ذوي الروح ومهما كانت فمنها من يؤثر في اشعاعه للعلاج ، ومنه من يؤثر على الهوام من الحشرات ومنه من يستخدم في ايقاف السموم ، وكذلك من تاثيراته على بعض اعضاء الجسم ، فكل ماذكر كان دليلًا عليه من خلال التجربة ـ فصح البعض منه بدقة منظوره وبعضه الآخر بقي رهين التجربة حتى تأخذ باليقين حول سره وفائدته . ومما لا شك فيه استطاع العلم ان يتوصل من خلال التجارب العلمية والمختبرات التحليلية للمعادن ان يتحقق من بعض مزايا هذه الاحجار والمعادن ، فاستطاع ان يبرهن على ان للاحجار الكريمة تفاوتاً فيما بينها من حيث الصلابة والوزن واللون الخاضع الى اتحاد بعض العناصر معها ، وللعرب دور كبير ـ بل لهم الفضل الأول في استخدام هذه الاحجار ، والوقوف على حقائقها ، فتطرقوا اليها ، وكتبوا عنها واستخدموها حلياً لهم ، والحقيقة ان هذا الاستخدام لايقف عند جمال هذه الاحجار واستخدامها حلياً فقط ، فقد تألق العلماء العرب المسلمون من ان يلبسوها اشراقاً فوق جمالها .. وذلك بالوقوف على عللها واستخدامها فكانت هذه الحقائق عبارة عن تدوين استخدامات هذه الاحجار وفوائدها وتطرقوا الى الاساليب الاكثر عبوراً للمعرفة والادق تمييزاً عن كل الاساليب السالفة التي سبقت العرب المسلمين في كشف الحقائق ، وعد بعض علماء العرب المسلمين ان لهذه الاحجار (روحاً) تسري فيه ـ الى جانب ما اكتشفه العلم الحديث ، ان للمادة اشعاعاً ، وهذا الاشعاع او الذبذبة هو نفس مفهوم علماء العرب حين اسموه بـ « الروح » ، ولقد اثبت العرب المسلمون ان هذه الذبذبة



والاشعاع الصادر منها ، تؤثر تأثيراً فاعلاً على بعض ذوي الروح وكل حسب حكمته كالحشرات والهوام ، وهذا ما حصل في التجربة والبرهان لبعض الاحجار الكريمة ـ ليتطابق القول بالعمل .. كماان القدماء من الحضارات السابقة اهتموا بهذه الاحجار ، فصنعوا منها الحلي ـ ومنهم من صنع اوثاناً يعبدها ، وآلهةً يقدم لها النذور ـ في حين ان خالق هذه الاحجار ـ وخالقهم هو الله البارىء سبحانه . فالماس .. وهو يمر على سرير التشريح العلمي والتحليل المختبري نجد رمزه (C) ، وله اصناف كثيرة منه / الصنف السداسي الرباعي الاوجه ، ومنه صنف الاثنا عشر وجهاً وذات بلورات مفلطحة ومستطيلة ، وله صنف ثماني سداسي منحنٍ ، ومن خواصه انه يتميز عن المعادن المشابهة له بصلابته العالية وبريقه الماسي فضلاً عن تشققه اما صلابته فهي (10) ومن حيث تركيبه الكيميائي فهو : كربون نقي ، ويستخدم حلياً (بدرجة اولى) لاغراض الزينة ، وجاءت تسمية (ماس) من تحريف للكلمة الاغريقية ـ Adamas ـ (اداماس) ومعناه : الذي لايُقهر .

٢ ـ الياقــوت

هو سيد الاحجار الكريمة وفاتنها .. رؤياه تُسرّ النفوس ، ويرتاح له القلب قيل في المراجع ...[٢] حجر كريم يفيد القلب ، ويجلب الرزق والهيبة والوقار لحامله ويحفظ حامله من الوباء ، وترجمة لما قيل فقد نوه عنه رواد العلم من علماء العرب كابن سينا والكندي وغيرهم من عباقرة العرب المسلمين ولاسيما ماجاء به رائد العلم الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) والذي يعد رائد العلم انذاك ، وقد تتلمذ على يديه جملة من العلماء الرواد في

هذا المجال امثال (جابر بن حيان التوحيدي) فجاء بنص مذهل للعقول حيث قال : ان الياقوت الاحمر يحمي حامله والمتختم به من الوباء ، وظلت هذه الكلمة تاخذ صداها دون ترجمة عملية لما قيل فبقي الحجر ،رغم جماليته الباهرة رهين التطبيق للوقوف على سرّه ، وقد توصل العلم الحديث من خلال التجارب والبحوث الى مصداقية ما قيل سابقاً بان (الكوراندوم) اي الياقوت يمتلك اشعاعاً ، وهذا الاشعاع يتحد باشعاع الجسم (الهيولاني) والذي يحيط بهذا الجسد (الناسوتي) الذي نتجسد من خلاله ، والاول اي (الهيولاني) نراه واضحاً تحت تأثير الاشعة (السّينية) المكونة للصورة التلفازية فتظهر (هيو لاناً) حول الصورة ، وخاصة يكون بهيئة مستقرة تحيط به (هُلامة) بيضاء حوله فيتحد اشعاع الحجر دون ادراكنا ، فعند اصطدام فايروس اي وباء بهذا الجسم المشع فانه يحترق ، وللياقوت انواع واشكال والوان تعمل مستقلةً بالوانها واسرارها ، وكان الله خص هذه الالوان بسر وجودها ، فمثلًا (السافير ـ او السفير) او الزفير في اصطلاحه الشعبي لدارج . وهو حجر كريم ازرق اللون ذو شفافية رائعة نقية صافية ، فهو من فصيلة الياقوت الازرق ، وقيل للزفير الوان اخر ، وله صلابة شديدة لايُستهان بها ، ورغم صلابته تراه يتقشر ويتندب بنُدبٍ أبرية على سطحه الخارجي وكأنك تطرق سطحه بابرة ناعمة رغم صلابته وقوته وهذا ما يعزى الى سر عمله .. فما جاء في المصادر عنه (يبعد النظرة ـ والحسد) ويتلقاها الحجر دون التأثير بحامله ـ فيتندب ـ كما له من الاسرار العجيبة التي تُرجمت بالبرهان والتجربة انه يفيد القلب ايضاً .

فأجود انواع الياقوت الاحمر القاني ، ويسمى بـ (الحسني) لحسن جماله وكمال اسراره ، وله لون وردي (جنبدي) يدعى بالحسني ايضا فالوانه مختلفة وجميلة كالاصفر والازرق والاحمر و (الابيض) الذي يكون في تصنيفه اردأ انواع الياقوت لبهاتة لونه ولكنه (جُرّب) لعلاج بعض الامراض الجلدية للاطفال ومنه قد نجح ، فصلابة الكوراندوم بشكل عام (q) حيث يلي الماس صلابة وشدة ، وكذلك يعد ذا كثافة عالية ، ويستخدم الياقوت حلياً ويوضع في المصوغات الذهبية والفضية ويكون التركيب الكيميائي (للكوراندوم) :

AL_2O_3 حيث $AL = .52\ \%$, $0 = 1.47\ \%$

ويتواجد كمعدن اضافي في الصخور المتحولة مثل الحجر الجيري المتبلور ويتواجد كمكّون أصلي لبعض الصخور النارية (السياناتيت والنفلين سينايت) . ويعتبر الياقوت الاحمر القاني واحد من اهم الاحجار الكريمة الكوراندومية الكريمة ، ولا يعلو عليه في هذا المضمار سوى الزمرد ، اما السفير او السافير ، فهو من الاحجار الكوراندومية الباهضة الثمن واصطلاحه - Sapphire

٣ ـ الـزمـرد ـ Emery - Emerald -

حجر كريم متفرد بطبعه ولونه البّراق الاخضر المسرّ للنفوس ، ساد الاحجار كرامةً ولطافةً ، واحتواها سراً وجمالًا ، فاذا كان الياقوت سيد الاحجار ، واكثرها صلابةً وحكمةً ، فالزمرد هو تاجه الذي يلبسه ، ملكٌ بافعاله وحكمته ، وسيد بسره وجبروته ، فبأي شكل تتناول هذا الحجر ـ يهبك حكمة من حكمهِ ، شرباً كان أم حملًا ، فهو في حقيقته قوة ضارية ضد اشرس الحيوانات ضراوة .. (الافعى) ، فمن خاصيته لهذا الكائن المخيف ، يفجر عيونها ويشل حركتها ، وكأن الله سبحانه وتعالى جعله سلطاناً عليها ، فخضعت له بحكمته التي نطقت عليها ، ففجر عيونها وشل حركتها ، حجر كريم بعطائه طبيب بعلاجه ، فهو ينفع للسموم المشروبة فيطفئها ـ ويبطل سموم نهش الافاعي ، ولدغ العقارب شرباً (فيؤخذ منه سبع شعيرات ويجد شاربه وجعاً عظيماً في بداية الامر ، وانحلالًا في قوته ، ثم يفيق وقد انتفع منه وتخلص من سمومه) ...[٣] ومن تخصصات هذا الحجر الكريم انه يوقف الجذام في ابتدائه ، ويقطع الاسهال المزمن ، ونفث الدم شرباً وتعليقاً ، ويقوي المعدة ، وينفع للصرع تعليقاً ، وامساكه في الفم يقوي الاسنان والمعدة ، وقيل في المراجع (اذا علق على فخذ امرأةٍ في حالة الولادة ، سهل لها ذلك واسرعت بالولادة) ، وادمان النظر اليه يجلو البصر ويحدّه ، وطبعه بارد يابس ، ولقد خضع هذا الحجر الكريم (الزّمرد) في الكثير من هذه المزايا التي امتاز بها على اقرانه من الاحجار الكريمة للاختبار ـ فنجح ـ من خلال التجربة نجاحاً منظوراً يسرّ النفس ويطمئنها ، لأن التحقيق في مثل هذه الامور والوقوف على نجاحها انما هو دليل للحقائق التي لمسها عباقرة العرب وعلماؤهم ، فلقد امتثل هذا الحجر امام منافسه الأول (الأفعى) في نزال لم يَدُمْ الا (بضع دقائق) حتى اخرس حركتها ، وكان سيد الموقف عليها ، يحرّكها كيف شاء ، وكذلك شلّ العقرب (واماته) بعد حين ـ كما تحقق في البرهان اطفاؤه السموم شرباً وقطع الاسهال الملازم له .

الـفـيروز Turquoise

ومعناه (النصر او الظفر) ، وهو من الاحجار الكريمة ، ازرق اللون وهو فارسي المنشأ ، واسمه (الفيروزج) وهذه الكلمة هي معناه الذي حددناه اعلاه ، اما المصري ، فيكون لونه ازرق يميل الى الخضرة (ازرق مخضّر) ، ويدعى بـ(السيناني) نسبةً الى جبل (سِيناء) ويسمى الفارسي من حجر الفيروز بـ (الرضوي) نسبة الى مدينة ـ الرضا عليه السلام ـ وكذلك المكسيكي المنشأ فلونه (سماوي) ازرق ميال الى الخضرة ، وهو يتطابق من حيث اللون مع (بالفيروز المصري) ويميل بعض المعجبين الى هذا اللون اذا اشتد خضاره ليميل الى اللون (الزمّردي) القاتم الذي تقل رغبة المفتتنين بهذه الاحجار في (البيع والشراء) له ، ومن الوانه الاخضر المزرق ، والأخضر التفاحي ، والازرق المخضر ، واخيراً الازرق السماوي وهو اجودها والذي يعرف بالفيروز (الرضوي) فهو اجملها واجودها .

قيل فيه : حجر كريم ، فيه هيبة ووقار ، يطرد الفقر ، ويجلب الرزق ومنه من سميّ بـ (الرزاقي) في اصطلاحه الشعبي الدارج ، وهو ايضاً حجر كريم يفيد حامله من النظرة والحسد ، ويفيد القلب حملاً ، والنظر اليه يفيد البصر ويجلو العين ، وقيل حجر ينفع في الحرب وكان كثيراً مايوصي به الاقدمون بحمله في الحرب والنقش عليه (اسم الله الملك) وهذا النقش ماعثرنا عليه وعلى مثله في آية قرآنية مكتوبة (ربي لاتذرني فرداً وانت خير الوارثين) . ولقد استطاع العلم ان يتتبع اخبار هذه الاحجار ويضعها على طاولة التشريح المختبري والتحليلي ، فقد وقف الباحثون في وجوده واستعمالاته المختبرية العلمية ، وقد اطلق عليه اسم (التراكواز) Turquoise - وصنف نظامه التبلوري بـ (ثلاثي الميل - صنف السطيحي - آ -) ونادراً ما يكون في بلورات دقيقة ، وعادة مايظهر مستتر التبلور ومن خواص هذا الحجر يكون بريقه (شمعي) اما الوانه فهي الازرق والاخضر المزرق والاخضر ويمر الضوء من خلال حافاته الرقيقة .ويتواجد الفيروز - حجراً ثانوي النشأة على هيئة عروق ، او خيوط في قطع الصخور البركانية المتفككة ويستعمل بالدرجة الاولى حجراً كريماً ، وقد سمي بـ (التراكواز) ومعناه بالتركية (التركي) حيث يعتقد ان الاحجار الاولى من هذا المعدن قد نقلت الى اوربا من (ايران - عبر تركيا) .

(٥) حجـر القمـر Moonstoc

يطلق على الحجر الذي يجلب الفضة الى نفسه ، فهو يسقط على الصخور فيتحجر ويسمى (بصاق القمر) ، وهو حجر شفاف ابيض ، ومن حكمته يبرىء الصرع اكلاً ، وينفع من الوسواس والجنون ، ويقطع الخفقان والنزيف ، واذا عُلق في قطعة قماش بيضاء اورث الجاه والقبول ومنع الخوف والتوابع ..[٤] ، ولقد استطاع الباحثون الجيلوجيون الوقوف على الحقائق العلمية لهذا الحجر ، ومن خلال العثور عليه وتحليله لاكتشاف عناصره المكونة له ، فقد اطلق عليه اسم (الاروثوكليز - Orthcolas) وبلوراته أحادية الميل منشورية ومستطيلة ، ويكون بريقه زجاجياً لمآعاً عديم اللون ، او ابيض او رمادي واحمر (لحمي) ، واذا خدّش الحجر خرج منه لون ابيض ومنه من يكون نصف شفاف يظهر تلاعباً بالالوان عندها يسمى هذا النوع بـ (حجر القمر) - (Moonstc) ، ويستخدم هذا الحجر بدرجة رئيسة حجراً كريماً - ويستخدم بتطعيم صناعة الخزف .

٦ - حجرالبلخش .

من الاحجار التي ادهشتنا حين وقفنا على بعض من حقائقها الروحية ورغم غرابة اسمائها . حجر يحمل اسماً غريباً اعجمياً يدعى (البلخش) ، هكذا هو اسمه ، وهو جوهر شفاف مسفر مضيء مشرق صاف يضاهي الياقوت في اللون والرونق ، ومنه ما يشبه الياقوت - البهرماني الحسني - ويعرف بـ (اليازكي) وهو اغلاها واثمنها وهو شفاف زجاجي

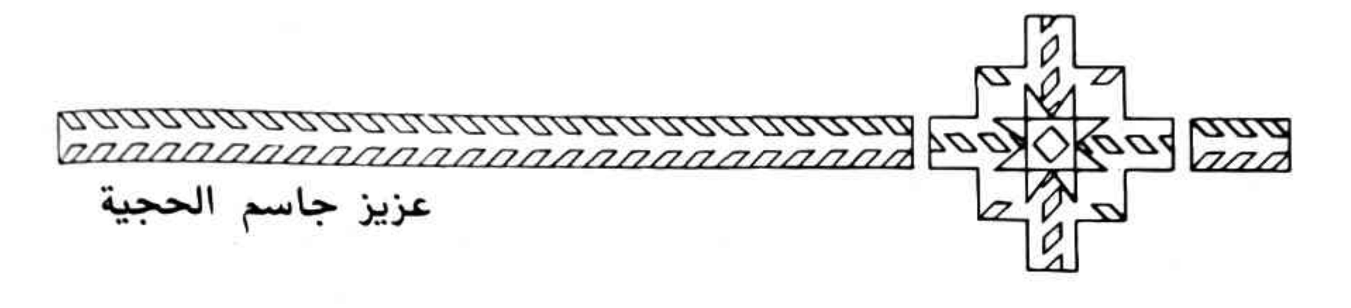
وبلورته مكعبة والتمييز بين (البلخش والياقوت) كون الثاني اكثر كثافة وصلابة من الاول ، وبلورته وحيدة اللون وهو مكعب البلورة ـ وقد استعمل البلخش هذا دواء للنزيف وهو مكعب البلورة ـ وقد استعمل البلخش هذا دواء للنزيف الدموي ، وهو علاج حاسم في هذا المجال . وامراض الالتهابات وتقرحات الجروح الجلدية ، كما استعمل وجُرّب مهدئاً يقضي على الغضب ـ فيريح الاعصاب حملاً وسقاءً ، وله الوان واجناس ولكل جنس لون بذاته يعمل عملاً مستقلاً ، فالاحمر للعقرب وللسموم حيث يعمل هذا الحجر لحامله ، بانه لا يقربه العقرب ، ولايستطيع لدغه وكأن عمله وعمل الزبرجد والزمرد واحد ، وكذلك يفيد الملسوع والملدوغ ، ويبطل السموم ، والاخضر الزبرجدي لايختلف عن الاول عملاً ، والجنس الاخر ، الاصفر البراق زينة وجمالاً ولا يخلو هذا الاخير من عمل وحكمة ، ولكن لم نقف على سره وحكمته ، وليس هذا فقط هو من الاحجار التي لم نقف على حقيقتها بل حتى اللآتي وقف عليها المعزّبون وعلى حكمتها لم يتوصلوا الى غايات اسرارها ، وبالتالي يبقى القصور واضحاً للوقوف على اسرارها وحكمتها ووجودها ، ولكن ما توصل اليه العارفون باسرارها قد وفقوا باستحكامات هذه الاحجار بما يخدم مرحلة بحوثهم وارائهم وبالتالي الاستفادة وفق نظام الحاجة الانسانية وفلسفتها .

٧ ـ حجـر فيـهـار

ولونه كلون الياقوت الاحمر شفاف خاصيته انه يدفع غائلة (السحر) فاذا حمله الانسان لايضره السحر وان مثل هذا الحجر العجيب ، وهو فاعل بحكمته وسرّه ، يُبعد كيد مردة الشياطين ، ويبطل اعمال السحر وكأن الله سبحانه اوجد في هذا الحجر حكمة ما ، وهذا العمل يشبه عمل (الجزع اليماني) الذي يحمل حكمةً كحكمةِ هذا الحجر ، ويكون الجزع اليماني ذا دوائر نظامية ذات طبقات متراكبة الواحدة تلو الاخرى . واذا اردنا ان نقف على بعض من هذه الشفرات الروحية لمثل هذه الاحجار القائمة بوجودها واسرارها وحكمتها نجدها احجاراً طلسمية باسرارها ، فاحتوت سلاحاً روحياً ضد فنون السحر وكيد الشياطين ، فانها ضاربة له (ولايُفلح الساحر حيث اتى) .

٨ ـ حجـر الشياطيـن

وهو من الاحجار الغريبة اسماً وعملاً وحكمةً ، يجعل القارىء تنتابه الغرابة والدهشة والفضول لمعرفة اسراره ، وانتمائه التكويني الصرف ، وهو حجر املس احمر اللون ، لونه كالياقوت ، وكسره ككسره ، وليس له شفافية ، فاذا أغمس هذا الحجر في الماء (اصّفرّ) وصار لونه كلون (**الزرنيخ**) ، واذا كلّس ثلاثِ مراتٍ (احمرّ) وصار لونه كلون (**الزنجفر**) ، واذا القي جزء واحد منه على اربعة عشر جزءاً من الفضة صبغها ذهباً . فهو حقاً حجر الشياطين .



عزيز جاسم الحجية

من تراثنا الشعبي البغدادي

الرمان في حياتنا

الرمان شجرة نفضية (متساقطة الاوراق) تجرد أوراقها في فصل الشتاء وتورق في فصل الربيع ثم تزهر فتثمر، تسمى زهرتها (جلنار) وهي ذات لون أحمر زاه، ثمرتها الواحدة تسمى رمانة وجمعها رمان أو رمانات.

تتكاثر شجرة الرمان بواسطة البذور والأقلام وهي من الاشجار المباركة، وقد ورد ذكرها في قوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان).[1]

تزرع شجرة الرمان في معظم محافظات القطر، وعلى الأخص محافظتي ديالى وكربلاء، وقد اشتهر بين الفواكه الرمان الذي انتجته بساتين مندلي الذي يمتاز بقشرته الرقيقة وحبه الأبيض وبطعمه الحلو، ولذلك كان الباعة المتجولون ينادون على بضاعتهم ترغيباً لمشتريه :

(رمان مندلي يا حلو)[2] ومنهم من ينادي :

يـــاورد يـــــــا رمــــــــان

يمضـــــــــوي على البستــــــــان

وللرمان ثلاثة انواع، الحلو وغالباً ما يكون لون حباته أبيض شفافاً، والحامض ويكون لون حباته أحمر شفافاً، اما النوع الثالث فهو الخوشي[3] ويكون طعمه وسطاً بين الحامض والحلو ومنهم من يطلق عليه اسم (حامض حلو). تكون حبات الرمان في داخل الرمانة على شكل فصوص منتظمة حبة بجانب اخرى، ويغطي كل فص غشاء رقيق لونه أبيض يميل الى الصفرة، ويسمي البغداديون كل فص من هذه الفصوص بـ(الديچ ـ الديك) كما يسمون القسم الذي ينتظم عليه حب الرمان بالشحم، ويكون لونه بلون الغشاء الذي يغطي الفصوص.

• في وصف الرمانة

لقد اطلق البغداديون تسميات خاصة يصفون بها حالة الرمانة وهي بكامل هيئتها، فاذا

أراد أحدهم شراء كمية من الرمان لعائلته فلا بد من انتقاء الرمان الجيد ، اذ يختار المشتري الرمانة الناضجة ، فيضغط بابهامه على جهة منها فاذا سمع طقطقات الحبات قال : انها رمانة ريانة اي (شبمانة ميّ) واذا كانت صلبة لا تتجاوب حباتها مع ضغط ابهامه قال : انها رمانة محصرمة ، واذا كانت احدى جهات الرمانة ذات لون داكن ولم تتجاوب حباتها للضغط قال عنها : انها (محروكة ـ محروقة) من جراء أشعة الشمس المباشرة ، حيث يفضل زرع أشجار الرمان تحت ظلال النخيل .

وهناك الرمانة اليابسة او كما يطلقون عليها اسم (الممطوشة) التي لم تنل حصتها الكافية من الماء عند الارواء .

اما الرمانة المفلوعة او المفطورة فهي الرمانة الناضجة ، فقد وصفها الشيخ جلال الحنفي بقوله : ان تفلع الرمان انما يكون من امتلاء الرمانة بالعافية وبلوغ حباتها غاية الكبر فتشق قشرتها شقاً ... وكثيراً ما يكون ذلك في الرمان ذي الحجم الكبير الذي استوفى نضجه .[٤]

وهناك الرمانة الخايسة (التالفة) ، حيث يعزلها البائع عن بقية الرمان لتفريط الحبات التي لم ينلها التلف .

ومتى ما انتقى المشتري الكمية الكافية طلب من البائع وزنها (حيث يباع الرمان بالوزن)

• الرمان في المعتقدات / أكل الرمان

يعتقد البغداديون ان في كل رمانة حبة واحدة تسمى (حباية الجنة) لا يعرفها أحد ، ولذلك يحثون اولادهم وجميع افراد العائلة على الحرص على عدم اسقاط اية حبة من حبات الرمانة التي ياكلونها ، فلربما كانت الحبة المفقودة هي (حباية الجنة) ويخسرون بذلك نعمة من نعم الله ، واعتقد بان هذا الادعاء هو لحث آكلي الرمان على ترشيد الاستهلاك او الحرص على عدم اسقاط حبات الرمان على الملابس والافرشة والمحافظة على نظافتها ، لان حبة الرمان متى سقطت على الملابس والافرشة تركت في محل سقوطها (لكة – بقعة)[٥] لونها داكن لا تزول بالغسيل ابداً .

وعلى الرغم من هذا التحذير فانهم يستعدون لاكل الرمان استعداداً خاصاً بفرش اغطية اضافية تصون الافرشة والملابس مما تتركة حبات الرمان من أثر يشوهها ، ومن هنا ظهرت حسبما اعتقد عادة أخذ الفاكهة وخصوصاً الرمان الى الحمامات العامة في فصل الشتاء للتخفيف من حرارة جو الحمام والتمتع بطعمه بعيداً عن الخوف والحذر من تلوث الملابس والامتعة .

• الرمان في الطب الشعبي

• تغلى كمية من قشور الرمان اليابسة بقوري الشاي او باي اناء آخر مناسب ويسقى بمائها المصاب بالاسهال والمغص [٦]

• يستعمل شراب الرمان لمعالجة (الفراكيس – البثور) والتهابات اللثة والفم وذلك بدلكها بسبابة اليد بعد غمسها بشراب الرمان لا سيما عند الصباح قبل تناول الفطور .

● يعتقد بعض الناس ان المصاب بالرمد من الاطفال اذا (بلع - ازدرد) وردة الرمان قبل ان تتفتح (على ريكة - اي قبل الفطور) لمدة ثلاثة أيام متوالية فانه يشفى باذن الله .

● **الرمان في الصناعات الشعبية**

تدخل ارواط الرمان في الصناعات الشعبية حيث تصنع منها السلال التي تنقل بها الفاكهة لعرضها للبيع من قبل البقالين في دكاكينهم أو من قبل الباعة المتجولين وهم يحملونها على رؤوسهم معلنين باعلى اصواتهم عما يبيعونه من أثمار ، كما تصنع منها سلة حفظ العشاء صيفاً (قبل شيوع استعمال الثلاجة الكهربائية) وهي سلة كبيرة يبلغ قطرها نحو متر وربما اكثر ، اذ تكفا في السطح العالي فوق صينية عشاء رب العائلة او غيره من افراد العائلة ممن يتاخرون في العودة الى بيوتهم لحفظه من الفساد نتيجة لحرارة جو الصيف ، ومن ملاحظات ام البيت الجيدة هو وضع (ثقّالة) وغالباً ما تكون طابوقة او غيرها فوق السلة كي لا تقلبها (البزونة - القطة) وتاكل عشاء رب العائلة .[٧]

كما تصنع من أرواط شجر الرمان ايضاً سلة تحفظ بها الملابس الداخلية النظيفة بعد غسلها وتسويتها باليد او كيها بـ(الأوتي - المكواة) كما كانت تستعمل لانامة الطفل الرضيع في ايامه الاولى[٨]

● **الرمان في الامثال**

● رمانتين ابفد إيد متتلزم - يضرب للشيء يكون له حد لا ينبغي ان يجاوزه .[٩]
● رمانة والكلوب مليانة - يضرب لمن يظهر المودة ويبطن الضغينة [١٠]
● ماهي رمانة ، لاجنها كلوب مليانة - يضرب لا ستغلال حادث بسيط بدافع عدائي .[١١]
● نومي ورمان ميزوج نسوان - يضرب للمبذر الذي لا يستطيع ان يتزوج ويصبح (صاحب بيت) مالم يقلع عن التبذير[١٢]

● **الرمان في الشعر الشعبي**

لقد ورد ذكر الرمان في شعر الملا عبود الكرخي بقوله :

لو يمشي عدل حالًا ابو الجنيب	ام يمكن منارة تنوضع بالجيب
ام طفل المهد ينبت براسه الشيب	وتدري اشكثر حب داخل الرمانة[١٣]

وقال ايضاً :

بســـــــــورة لم يكن أحلف وحـــــــــاميمـــــــــات
كلمن عـــــــاشــــــره للحلــــــــو حمٌ ومــــــات
بخـــــــده احمــــــرار وينطي فـــــد مـــــوجــــات
ميّ رمــــــان كــــــاســـــر بــــــالســــــراحيـــــة[١٤]

• **الرمان في الغناء الشعبي**

اما في الغناء الشعبي فقد ورد ذكر الرمان في اغان عديدة منها :

چلچـل[١٥] عـليّ الـرمـان	النـومي فـزعـلي[١٦]
هـذا الحلـومـا اريـده	ودوني لهـلي[١٧]

وفي غناء المربع البغدادي قالوا :

يـلي تبيـع الـرمـان	بـالعـدد لـو بـالميـزان ؟
خليت فكـري حـيران	واشحلـو طعم الـرمـان

× × ×

رمـان بـدره ومنـدلي	طعمـه حلـو أكلـه هني
شبـه العسـل مـا ينجني	مـزه يفيـد السكـران

وفي مربع آخر قالوا :

يـلي تحب غـيري روح	عنـي انـهـزم
رمـانتـين ابفـد إيـد	مـا تلـزم[١٨]

وقد ورد ذكر الرمان في اهزوجة للصغار، كانوا يرددونها وهم (يتمرجحون ـ يتارجحون) بالمراجيح بالعيدين والكسلات وغيرها قائلين :

شوط شوط عيده
لجملَه وَ ازيده
ولجفي عليه المنخل
شُنخُل شُنخُل بالمنخل
وجريواتي ورايه
الفهن بالعبايَة
وياكلون من غدايَه
غدايه حبيب رمان
والمركه عالجيران
كل ناس حَبَة حَبَة
والواوي رافع ذَنْبَه[١٩]

• الرمان في الطبيخ

هناك اكلات خاصة ، تضيف اليها حموضة الرمان طعماً خاصاً يتلذذ بها الاكلون منها :

• التشريبائة او المثرودة ـ وهي عبارة عن ثريد الخبز البايت (خبز مضى على خبزه يوم او يومين) المقلي بالدهن مع كمية مناسبة من البصل (المثروم ـ المفروم) مضافاً اليه البطنج وقليل من الماء والملح والبهارات مع كمية من حب الرمان الطري او المجفف او كمية من شراب الرمان في غير موسم الرمان ، وعند عدم تيسر ذلك نيكون منقوع تمر الهند هو البديل الذي يحافظ على طعم المثرودة ، وتؤكل حارة ، ومن هنا جاءت تسميتها في المحافظات الجنوبية باسم (محروگ اصبعه) .

• الدولمة ـ[٢٠] اكلة مرغوبة في جميع انحاء القطر ، يختلف طبخها حسب امكانيات العوائل وأنواقهم من حيث كمية اللحم وتعدد انواع المخضرات .

وشراب الرمان الذي يعطى الدولمة طعماً لذيذاً .

• الرمان في المراهنات .

يتفق اثنان من ابناء المحلة على ان ياكل كل منهما رمانة بحجم واحد باستعمال يد واحدة ، ومن يسقط اقل عدد من حبات الرمان على الارض يكون هو الفائز ، ويدفع بعدئذٍ زميله ثمن الرمانتين الى البائع .

• في الحزورات (الالغاز)

صفط ابّطن صفط ، ليلو ومصفط شنهوه ؟ رمان

• تفريط الرمان

يعزل الرمان الحامض تمهيداً لتفريط حباته ، حيث يتعاون عليه افراد الاسرة لانجاز العمل بوقت قصير اذا كانت الكمية كبيرة ، حيث تقطع الرمانة من منتصفها الى قسمين ، ثم يضع القائم بتفريط الرمانة نصفها مقلوباً على راحة يده اليسرى على ان تكون القشرة الى الاعلى ، ويبدأ بضربها بالعودة الممسوكة باليد اليمنى فيتساقط حب الرمان بالطبگ (الطبق) الموضوع تحت يدي القائم بالتفريط ، ثم يجمع حب الرمان بعد الانتهاء من العمل وينشر كي يجف ليباع في الأسواق . اما القشور فتجفف هي الاخرى لتباع الى الدباغين والعطارين .

• شربت الرمان

يعصر حب الرمان الحامض باليد او بالماكنة وتضاف اليه كمية مناسبة من السكر فيكون طعمه لذيذاً يقدم للضيوف او لافراد العائلة . كما يصنع باعة المرطبات شربت الرمان في غير موسمه وذلك بغلي حب الرمان المجفف واضافة السكر اليه مع قليل من الاصباغ المستوردة والمستعملة في تلوين الشرابت ، بلون أحمر يقارب اللون الرماني ويبعه للزبائن كمرطب مرغوب في فصل الصيف .

شراب الرمان

بعد تفريط حب الرمان ، تبدأ (ام البيت) ومن معها في البيت بعصره بايديهن عصراً تاماً ، ثم يصفى ذلك العصير بالمنخل وينقل بالسطول (جمع سطل) الى السطح العالي حيث يفرغ في صواني نظيفة ومبيضة حديثاً ثم تغطى بقماش خفيف (ململ) وقاية من الذباب والحشرات ، وبعد ان يصل عصير الرمان الى الكثافة المطلوبة نتيجة تبخر الماء بحرارة الشمس يعبأ بالقناني ويحفظ الى حين الاستعمال .

● رمانيات اخرى

● مص الرمان ـ يحلو لبعض الشباب تناول الرمان بأسلوب المص ، حيث ينتقون الرمان ذا القشر الخفيف ، فيبدأ كل منهم بعصر رمانته حتى تغدو مُزمكة (لينة جداً) عندئذ يفتح باسنانه الامامية فتحة صغيرة في احدى جهاتها ويبدأ بمص رحيقها وهو مستمر بالضغط عليها بكلتا يديه حتى ياتي عليها ، ثم ينفخها من نفس الفتحة التي مص منها رحيقها ثم يتركها في الطريق لايهام بعض اقرانه بانها رمانة كاملة بقصد المزاح والتسلية .

● قريولة ام الرمانات

چرپاية حديد مستوردة ، في اركانها الاربعة اعمدة تنتهي بكرات معدنية ذهبية اللون تسمى رمانات ومن هنا سميت قريولة ام الرمانات . ينام عليها الزوجان غالباً ما يكون في فصل الصيف فوق السطح العالي حيث تربط (الكلّة) في الاعمدة الاربعة لتحجب النظر عن الزوجين[٢٢]

● في الالوان

لم ينسَ البغداديون لون الرمان عند تعداد الالوان فقالوا : (رماني) وهو الاحمر الغامق نسبة الى لون حب الرمان .[٢٣]

● الرمانة اليدوية

وقد ذكر الرمان ضمن اسلحة صنف المشاة في الجيش العراقي الباسل باسم (الرمانة اليدوية)

● رمانات الكرويت

تسمى يدات الكرويتات (جمع كرويت) وهي مقاعد تصنع زوجية من الخشب صناعة محلية لتتكامل القطعتان عند وضعهما متجاورتين فتصبح قطعة واحدة لها متكآن (يدتان) واحدة في اليمين والثانية في اليسار ـ وفي مقدمة كل يدة كرة مجروخة تسمى رمانة ، وكانت الكرويتات تقوم مقام قنفات اليوم .[٢٤]

● كما تسمى كرات يدات تخوت المقاهي بـ (الرمانات) ايضاً مثلها مثل كرات محجرات البيوت المجروخة حيث تسمى بـ (رمانات) المحجر .

● وفي جسم الانسان اطلقوا اسم الرمانة على رأس الكتف فقالوا : (رمانة الچتف) الكتف

● يقدم حب الرمان الى محتسي الخمور في المحلات العامة (كمزة) حيث يرش بعضهم عليه قليلًا من الملح للتخفيف من شدة حموضته .

● بعض الامهات يقدمن الرمان الى اولادهن مفرطاً لاكله بالملعقة ، لان اكل الرمان باليد يترك

اثراً بالاصابع ، كما يلوث الملابس اذا سقطت عليها بعض حبات الرمان .

● تزال المادة السوداء التي يتركها الرمان في اليدين أثر تفريط حباته او عصرها بغسلها بمحلول (الليمون نوزي) حامض (الترتريك) .

● الرمان في عرزولة اليهود .

كان اليهود يحتفلون بعيد العرازيل (عيد المظال) سنوياً في وقت محدد بتقويمهم ، حيث يصنعون عرزولة (مظلة) من سعف النخيل وهي عبارة عن سقيفة يعلق بها انواع الفاكهة كالرمان والنومي والبرتقال وغيرها ويجلسون تحتها الى ان تتساقط عليهم قطرات المطر حتى اذا صادف ذلك في غير موسم المطر ، عندئذ يتغنون باغنيتهم المعروفة (ربنا حبنا وعطانا) .[٢٥] وقد ورد ذكر العرزولة في الامثال قولهم : مثل عرزولة اليهود كل شيء معلگ بيها[٢٦]

● الرمان في الاحلام

قال ابن سيرين : (الرمان الحلو يؤول بامرأة ذات مال ، وربما كانت الرمانة الحلوة الف درهم والحامضة حزناً) .

وقال جابر المغربي : الرمان الحلو اذا أكله انسان في وقته حصول الف دينار ، واقل ما يكون خمسين ديناراً ، وان رأى انه اكل رماناً في ايام الشتاء او قلع شيئاً منه وأكله فانه يؤول بالضرب ، وبالجملة الرمان الحامض سواء كان في وقته او في غير وقته فانه ليس بمحمود .

(ومن رأى) انه أكل رماناً حلواً بقشره او بماء فيه فانه ينتفع من ماله . وقال ابو سعيد الواعظ : الرمانة تدل على الزينة للمرأة وللرجل على الولد ولمن يقتضي منصباً على ولاية ، وللمتولي على نفوذ الامر وللتاجر على مال مجموع وللدهقان على قرية نافعة . وقيل (من رأى) انه أصاب رمانة فان كان حبها احمر وهي مستوية حلوة فالف دينار حلال ، وان كانت حامضة يكون المال حراماً ، وأن كان حبها حلواً أبيض اصاب الف درهم ، وقيل من اكل الرمان الحلو أصاب مالاً وهو صحيح الجسم ، وان كان حامضاً أصاب مالاً وهو مريض .

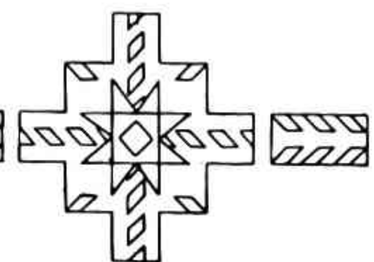
(ومن رأى) انه باع رماناً فانه رجل يختار الدنيا على الآخرة ، وعصر الرمان وشربه ونفقة الرجل على اهله ونفسه واهل بيته ، وحب الرمان الذي يطبخ رزق على كل حال .[٢٧]

الرمان مال مجموع اذا كان حلواً او ربما كانت الرمانة كورة عامرة وربما كانت عقدة ، وشجرة الرمان رجل وربما كانت امرأة والرمان الحامض هم وغم (وحكي) ان رجلاً اتى ابن سيرين فقال : رأيت في يدي رمانة فقال : هي امرأة تتزوجها فان اكلتها مجيد .

والرمانة ايضاً ربما كانت ولداً وتدل للوالي على ولاية بلدة عامرة . وقيل من رأى كانه اصاب رمانة حبها احمر أصاب الف دينار وان كان حبها أبيض أصاب الف درهم ، وان كانت حلوة كان ذلك في سرور ، وان كانت حامضة كان في هم وحزن ، ومن باع رمانة فانه رجل قد اختار الدنيا على الاخرة ، فان رأى كان اكل قشور الرمان عوفي من المرض وعصر الرمان وشرب مائه نفقة الرجل على نفسه ، وشجرة الرمان تدل على قطع الرحم ، واما الرمان المبهم الذي لا يدري أحد أحلو هو أم حامض فهو بمنزلة الحلو ، الا ان يدل صاحب الرؤيا على غير ذلك .[٢٨]

الهوامش

١ ـ سورة الرمان : الاية (٦٨)
٢ ـ انظر بغداديات ج١/ ١٣٠ للوقوف على نداءات الباعة .
٣ ـ اصل الكلمة أجنبي دخيل اي جيد / معجم المصطلحات والالفاظ الاجنبية في العامية البغدادية / د . مجيد محمد
٤ ـ جريدة القادسية العدد ٣٦٥١ في ١٤ تموز ١٩٩١
٥ ـ اصل الكلمة اجنبي دخيل بمعنى بقعة او وكتة / معجم المصطلحات والالفاظ الاجنبية / د . مجيد محمد
٦ ـ بغداديات ج ٥ / ٢٥٦
٧ ـ المصدر اعلاه نفسه / ٨٠
٨ ـ المصدر اعلاه نفسه ج ١ / ٣٧
٩ ـ الامثال العامية البغدادية / الشيخ جلال الحنفي ج ١ / ١٩١
١٠ ـ المصدر اعلاه نفسه /١٩٢
١١ ـ الامثال العامية المقارنة / العميد عبد الرحمن التكريتي ج ٤ / ٣٩
١٢ ـ مجموعتي
١٣ ـ ديوان الكرخي / الطبعة الثانية / ج ١ / ١٩٥
١٤ ـ من شعر الكرخي غير المنشور / افادني به صديقي الاستاذ حسين حاتم الكرخي .
١٥ ـ خيّم عليّ ، ظلل
١٦ ـ هبَّ لمساعدتي .
١٧ ـ خذوني الى أهلي
١٨ ـ انظر الرمان في الامثال في الموضوع نفسه .
١٩ ـ بغداديات ج ٥ / ١١٩ ـ ١٢٠
٢٠ ـ يلفظ لام الدولمة مفخماً ، وهي كلمة تركية بمعنى الملفوف .
٢١ ـ بغداديات ج ٥ / ٣١٨
٢٢ ـ المصدر اعلاه نفسه / ٣٢٩
٢٣ ـ المصدر اعلاه نفسه / ١٠٣
٢٤ ـ النخلة سيدة الشجر / عبد القادر باش اعيان / ٢٥
٢٥ ـ الامثال العامية البغدادية / الشيخ جلال الحنفي / ج ٢ / ٢٥٢
٢٦ ـ منتخب الكلام في تفسير الاحلام / محمد بن سيرين ج ٢ ـ ١٩٤
٢٧ ـ المصدر اعلاه نفسه / ج ١ ـ ٢٣٢



مثري العاني

الغسالة

من عادات الاستحمام في الموصل

في الموصل المدينة العريقة عادات وتقاليد كانت الى الماضي القريب ركناً اساسياً في حياة اهلها وشيئاً لا يمكن التغاضي عنه ويتهيأون له قبل ممارسته ، ويعود التخلي عنه حالياً الى عدة اسباب منها سهولة التنقل وتوفر وسائل النقل فضلًا عن وسائل الراحة التي دخلت كل دار تقريباً والوعي المعرفي لاهل المدينة والى توافد الكثيرين من خارجها واختلاطهم بسكانها الاصليين وهو اثر كثيراً على ممارساتهم هذه كما انهم شعروا ان بعضاً من هذه الممارسات والتقاليد والعادات اصبحت لا تساير التقدم الحضاري ومسيرته وبالتالي فقدت اهميتها .

من العادات التي كانت تمارس في الموصل الى مدة ليست بالقصيرة (الغسالة) وكما يلفظها اهل الموصل بلهجتهم العامية المعروفة بكسر اللام لتصبح (الغسالي) والغسالة هي المرأة التي تقوم باجراء مراسيم الاستحمام في الحمامات عندما لم تكن في البيوت حمامات خاصة وكان لها دور فاعل ونشيط في الحياة الاجتماعية للاسر والعوائل الموصلية وخاصة مع النساء ولها قيمة كبيرة في عادات اخرى متعلقة مع بعضها مثل الخطوبة والزواج والطلاق والافراح واقامتها وعقد القرآن وختان الاطفال والحمل والولادة وحمام النفاس[1] وعودة الحاج بعد ادائه فريضة الحج وغير ذلك من العادات الموصلية المعروفة فضلًا على ما يصيب العائلة من اتراح ابعدنا الله عنها فهي الوسيط المعتمد عليه في مراحل الزواج المختلفة بدءاً بخطبة العروس وانتهاءً بالزواج السعيد وما يترتب على ذلك من امور فيها الكثير من الفرح والسرور ، وهي واحدة من المهام التي تمارسها الغسالة في حياة الاخرين .

اما مهمتها الاساسية والتي تنحصر في مراسيم الاستحمام فتبدأ من اللحظة التي تفكر فيها ربة الاسرة بالذهاب الى الحمام وتكون عادة في الاسبوع مرة واحدة او تزيد المدة على ذلك حسب الظرف . ان هذه المهنة تكون متوارثة في بعض العوائل حيث تدرب الام ابنتها الكبرى او احدى بناتها على القيام بها بعد عجزها .

لقد كانت الموصل تعج بالحمامات العامة المشهورة مثل حمام الزوية وحمام قره علي

والصالحية والقلعة وباب الجديد والمنقوشة وغيرها وغالباً ما تكون حمامات النساء قريبة من حمامات الرجال او ان يكون الحمام في الصباح للنساء وفي المساء للرجال ، والخدمات التي تقدمها حمامات الرجال تختلف عنها في حمامات النساء ، وعوائل الموصل تختار حماماتها حسب مواقعها او جودتها او ما تقدمه من خدمات وتبقى العائلة الواحدة ترتاد الحمام نفسه طيلة حياتها ولا تعمل على تبديله الا ما ندر ، وعليه فان رواد الحمامات معروفين وغالباً ما يكون حمام المحلة مكاناً لاهلها وهو امر متعارف .

عندما تفكر احدى العوائل بالذهاب الى الحمام فانها بدءاً تكون قد اختارت المكان وتبدأ هذه العادة بان تقوم ربة الاسرة بارسال وجبة العشاء (حيث كانت الوجبة الرئيسة انئذ) الى بيت (الفسالة) المعروف لدى جميع افراد المحلة وعلى ربة الاسرة التي تروم الاستحمام القيام باختيار اجود اصناف الاطعمة لذلك اليوم وكثيراً ما تعمل على طبخ صنف معين تحبذه الفسالة في ذلك اليوم حيث ترسل صينية الماكولات المغطاة والحاوية على ما لذ وطاب فضلًا عن الفواكه والحلويات الى بيت (الفسالة) صحبة احد افراد الاسرة او خادمتها وبذلك يكون لدى (الفسالة) علم بان الاسرة الفلانية تروم الاستحمام في اليوم التالي حيث تذهب شخصياً (اذا كانت ربة الاسرة من عائلة معروفة وذات جاه او ترسل احدى العاملات في الحمام) لاخذ ما تم تهيئته من البسة وتجهيزات ومواعين واغطية تكون ربة الاسرة قد قامت بأعدادها مسبقاً وتتكون من بقج (جمع بقجة) الالبسة والصابون والفوط والليْف (جمع ليفة) وبساط الفرشة (المقعد) والخاوليات والمناشف والبرانص الخاصة بالتنشيف والامشاط وكيس الحمام وما يوضع عل الرأس من اغطية والقباقيب (وغالباً ما تكون متوفرة في الحمام) ويكون الكَيل[٢] من اهم ما تحرص عليه ربة الاسرة لها ولمن معها لما له من سحر في تنظيف الشعر وتنعيمه ولرائحته الزكية المعروفة وكَيل الحمام يختلف على كيل الالبسة والاواني ومن الصوابين المعروفة انئذ صابون حلب وشماش وصابون زيت الزيتون وصابون حبة الخضرة المعد خصيصاً للحمام ولغسل شعر الرأس وكذلك دواء ازالة الشعر (دوا حمام) . اما الاوعية والطاسات المستعملة في الحمام فهي عبارة عن طاسات مختلفة ومتنوعة صغيرة وكبيرة حسب الحاجة تستعمل اثناء الاستحمام وبعده فهذه طاسة لصب الماء واخرى لنقله وثالثة للجلوس (القعادة) ومنها لعمل الكيل فقط والمبخرة بعد انتهاء الاستحمام وتكون جميع هذه الاوعية والمواعين من النحاس المسمى بالعامية (الصفغ) اي (الصفر) ، وعندما تلج ربة الاسرة الحمام فأن (الفسالة) تكون باستقبالها فتستقبلها بالترحاب وبما يليق بمكانتها وما ارسلته قبل يوم من ماكولات وغير ذلك فالمثل يقول (اطعم الفم تستحي العين) وتعمل (الفسالة) على تهيئة المكان الذي تنزع فيه ربة الاسرة ومن معها ملابسهم حيث تكون قد فرشته جيداً ووضعت بقج الالبسة في محلها ودقت الكيل ووضعته في الطاسة المخصصة له وادخلته الحمام لذا تراها تحوم حول المرأة ومن معها تلبي طلباتهم ولا تفارقهم فتدخل معهم الحمام لتدلهم على مكانهم والحوض الذي سيجلسون عليه وتفتح الحنفيات للماء الحار والبارد وترى مدى حرارته وقبوله لديهم ويكون لدى كل غسالة حوض خاص بها تكون مسؤولة عنه

وتحت تصرفها وعندما تدخل المرأة الى الحمام للاستحمام تكون (الفسالة) معها لصب الماء وجلب الكيل والامشاط وكيس التدليك وعمل (دوا الحمام) اذا تطلب الامر ذلك ، كما انها تقوم باجراء التعارف بين الاسر المتوافدة ، على الحمام مع بعضها وتقريب وجهات النظر وايصال ما يطلب منها الى كل اسرة وعائلة دون تكلف او عناء وحرج لذا تراها تتنقل من حوض الى اخر بكل سهولة ويسر دون حرج تطرح ما يعن لها من اسئلة وحوار وحوادث وموضوعات اذ انها احدى وسائل نقل اسرار الاسر الى بعضها وما يعترض اي منها وما يحدث لها رجالاً ونساءً لذا فان الحمام يكون محلاً لتجمع الاسر وتناقل الاخبار وتكون (الفسالة) احد اهم عوامل نقلها وانتشارها وخاصة حوادث الزواج والافراح وما يتعلق بهما . انها عبارة عن وكالة انباء متنقلة بين البيوت لما تتمتع به من حرية الحركة وسهولتها ومالها من مكانة عند النساء .

و (للفسالة) اهمية ومكانة وسطوة في الحمام وكلامها مسموع ونافذ .

بعد انتهاء عملية الاستحمام والتهيؤ للخروج الى مكان الراحة تهرع (الفسالة) لاحضار المناشف واغطية الرأس حيث تكون المرأة قد جلست على (الحجر الحار) الموجود داخل الحمام لاخذ قسط من الراحة قبل المغادرة الى محل الالبسة حيث تعمل (الفسالة) على تنشيفها ولف رأسها وجسدها بالمناشف والبرانص وتمشي امامها الى مكان الجلوس وتبقى تحوم حولها تلبي طلباتها وتعمل على ان تهيىء لها كل اسباب الراحة والهدوء لحين مغادرتها الحمام الى دارها بعد ذلك تعود (الفسالة) الى مكان الاستحمام لجمع الاوعية واواني الفسل والملابس المتبقية والامشاط وبقية مستلزمات الاستحمام فتفسلها وتعصرها جيداً وتنظفها وتنشرها لحين الجفاف وفي هذه الاثناء تكون المرأة ومن معها قد غادرن الحمام تاركات وراءهن كل ما جلبنه فمهمة ايصاله تقع على (الفسالة) .

ونظراً لما تحظى به (الفسالة) من مكانة ورعاية فان لها حصة في المواسم والاعياد يحسب حسابها وترسل حصتها الى دارها مباشرة فضلاً على ما تدفعه لها ربة الاسرة من نقود عند كل زيارة للحمام او كلما زارتها الفسالة في الدار وكلما ازداد العطاء كثر الاهتمام .

والمعروف عن الفسالة وعائلتها انهم ياكلون طعاماً من (غير دخان) والمقصود انها لا تطبخ نظراً لان الماكولات وما يتبعها تصلها يومياً الى الدار ومن اكثر من مصدر في بعض الاحيان .

ومن المهام التي تمارسها (الفسالة) في الحياة الاجتماعية دور الخاطبة ومراحل الزواج اللاحقة فهي بحكم اطلاعها وتنقلها بيسر بين البيوت ومعرفة اسرارها وخفاياها احياناً فانها بالتبعية تكون على اطلاع تام على احوال كل اسرة وما فيها ولديها من شباب وشابات ومن له نية في الزواج او التي ترشحه له لذا فانها تقوم بعرض مالديها من معلومات او تعمل على تقريب وجهات النظر بين العوائل وغالباً ما تجمع العائلتين في الحمام لزيادة التعارف والتقارب ونقل طلباتهما لحين اعلان النتيجة النهائية (ورحم الله امرءً جمع رأسين بالحلال) ودور الخاطبة الذي تقوم به جزء من المهام الاخرى التي تمارسها في الحياة الاجتماعية حيث تمارس ذلك في الحمام او خارجه ، فبعد الاعلان الرسمي عن الخطوبة

تبدأ مراحل تحديد مبلغ الصداق (المقدم والمؤخر) والجهاز وموعد عقد القران والزفة ومكان اقامة العرس لذا فهي تتنقل يومياً ولمرات عديدة بين هذه الدار وتلك لتوضيح رغبات الطرفين واذا اعترضت هذه المراحل بعض المشاكل اوالفتور فانها تعمل على تقريب وجهات النظر وتسهيلها واذا استطاعت حلها قبل تفاقمها وتذليل الصعاب ، وهي تلعب دوراً في تجهيزات العرس واختيار الخياطة التي تخيط ملابس العروس ومراحل تهيئته وتحديد نوعيته وكميته احياناً بتبادل وتداول الاراء مع الاطراف المعنية ومن ثم ايصال جهاز العروس الى دار العريس اما على مراحل واما على مرحلة واحدة[٣] . كما انها غالباً ما ترافق الفتاة وامها الى الخياطة لاخذ القياسات وشراء الحاجيات من السوق ونقلها الى الدار وتحضر ايضاً عند عمل البقلاوة والحلويات والكليجة ومستلزمات الفرح ايذاناً بقرب الزفة . وهي كثيراً ما تتحدث في الحمام مع النساء عما قدمته العائلة الفلانية لابنتها وما صنعت من جهاز يليق بمكانتها وما هيات من وسائل الراحة والطمانينة للعروس حيث يكثر التباهي ويعلو الزهو وتزيد في حديثها ما تراه مناسباً لاعلاء شان الفتاة امام الاخرين وخاصة اهل العريس وفي ليلة الحنة والزفة حيث ترافق العروس الى دار الزوجية تتزعم مجاميع المغنين والمغنيات من اهل المحلة وصديقات العروس ومحبيها لتبدأ الاغاني والافراح والرقصات والهلاهل والزغاريد (طيلة النهار والليل وحيث تكثر العطايا والهدايا التي تنال منها الكثير وتعود في الصباح (الصبحية) لتنقل لاهل العروس الاستقبال الذي لقيته ابنتهم وتفاصيل العرس ومزاياه .

ان زيارة العروس للحمام لاول مرة تسمى (حمام السبعة) اي انها تخرج لاول مرة من دار الزوجية الى الحمام وهو يوم مشهود ففي الصباح تذهب (الفسالة) الى دار العروس لاخذ مستلزمات الاستحمام وكما ذكرنا انفاً مع ما تطلبه هذه الفرحة من حلويات وماكولات وفواكه مع سماور الشاي والصواني لذا فان العروس تاتي ومعها صديقاتها وشقيقاتها وافراد عائلة زوجها ومحباتها من بنات المحلة المدعوات لهذا اليوم المشهود واهم هؤلاء جميعاً حماتها وبنات حماها واذ كان اهل العريس ميسورين فان الحمام يحجز لذلك اليوم . وما ان تدخل العروس الى الحمام حتى تستقبلها (الفسالة) بالزغاريد والهلاهل والرقص والغناء وتجلسها في المحل المخصص لها وتوقد امامها الشموع في صينية مهياة مسبقاً ثم تبدأ بنزع ملابسها (ملابس العروس) وهي تغني :ـ

ال تلبسو ما لا   وال تشلحو مالا   وابوها تاجر حلب جياب الحمالا

حيث تردد هذه الاغنية مع كل قطعة البسة تنزعها العروس ممتزجة بالغناء والرقص والفرح لذا فان العروس ومن معها يطول بقاؤهما في الحمام الى فترة نلك النهار مما يستوجب تحضير الماكولات وتنظيم صواني البقلاوة والحلويات وايقاد سماور الشاي لتحضيره مع الفواكه واشياء اخرى ويصاحب ذلك نثر الزهور والعطور والرياحين على العروس وجماعتها . ان يوم (حمام السبعة) يوم مشهود تبقى تتكلم به المحلة . ان (الفسالة) تقوم بهذه المهمة ومهام اخرى فهي تشارك الاسرة في حياتها الاجتماعية وما يحدث لها من

مناسبات من حمل وولادة وختان للاطفال واقامة موالد الافراح وعودة الحاج من زيارته لبيت الله ومختلف المناسبات التي تصيب الاسرة في مراحل حياتها المختلفة .

اما الان فلم يعد لهذه المرأة (الفسالة) دور اطلاقاً وان الكثير من الاسر حالياً لا تعرف لهذه المرأة وجود فقد انقرض دورها .

ان من اهم الاسباب التي ادت الى انتهاء دور (الفسالة) في الحياة الاجتماعية الموصلية كثرة الحمامات داخل الدور حالياً وقلة ارتياد الحمامات العامة من الاسر حيث اصبح ارتيادها يكاد يكون محصوراً على الوافدين الى المدينة من خارجها او الذين لا تتوفر في بيوتهم حمامات خاصة وبشكل عام فان (الفسالة) كانت تقوم بدور واضح وخدمة فاعلة في حياة الاسرة في مراحل متعددة ورغم ذلك فقد كان ينظر لها والى اسرتها نظرة متدنية بعض الشيء فلا يتم الزواج منها ولا يعطى لاحد ابنائها بنت حيث يكون ذلك محصوراً بين اسر (الفسالات) .

الهوامش

١ ـ لمزيد من التفاصيل راجع بحثنا المنشور في مجلة التراث الشعبي ـ بغداد العنوان (حمام النفاس) العدد ١١ السنة العاشرة ١٩٧٩

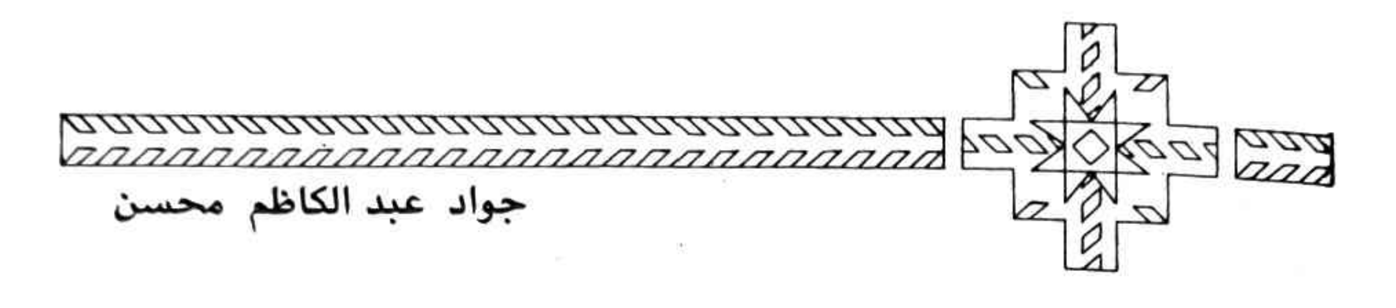
٢ ـ الكَيل ـ مادة كلسية تكثر في ضواحي الموصل كانت تستعمل للاستحمام ولغسل الالبسة والاواني لقلة الصوابين حيث يختلف الاول عن الثاني .

٣ ـ يتم نقل جهاز العرس على مراحل احياناً لبعض القطع الخفيفة والبسيطة اما بقية الجهاز فينقل مرة واحدة حيث يوضع على عربات يجرها الاشخاص او الخيول احياناً يصاحب ذلك الهوسات والاغاني من دار العروس لدار العريس ، ولمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة كتاب تقاليد الزواج في الموصل لسعيد الديوه چي .

تنويه

كنا قد نشرنا في العدد الثاني س٢٩ ١٩٩٨ المقال الموسوم (الديك في الأمثال الشعبية باسم (كريم باجي وناس) والصحيح (كاظم باجي وناس)

لذا تعتذر المجلة للسيد كاظم باجي وناس عن هذا الخطا



جواد عبد الكاظم محسن

جسر المسيب

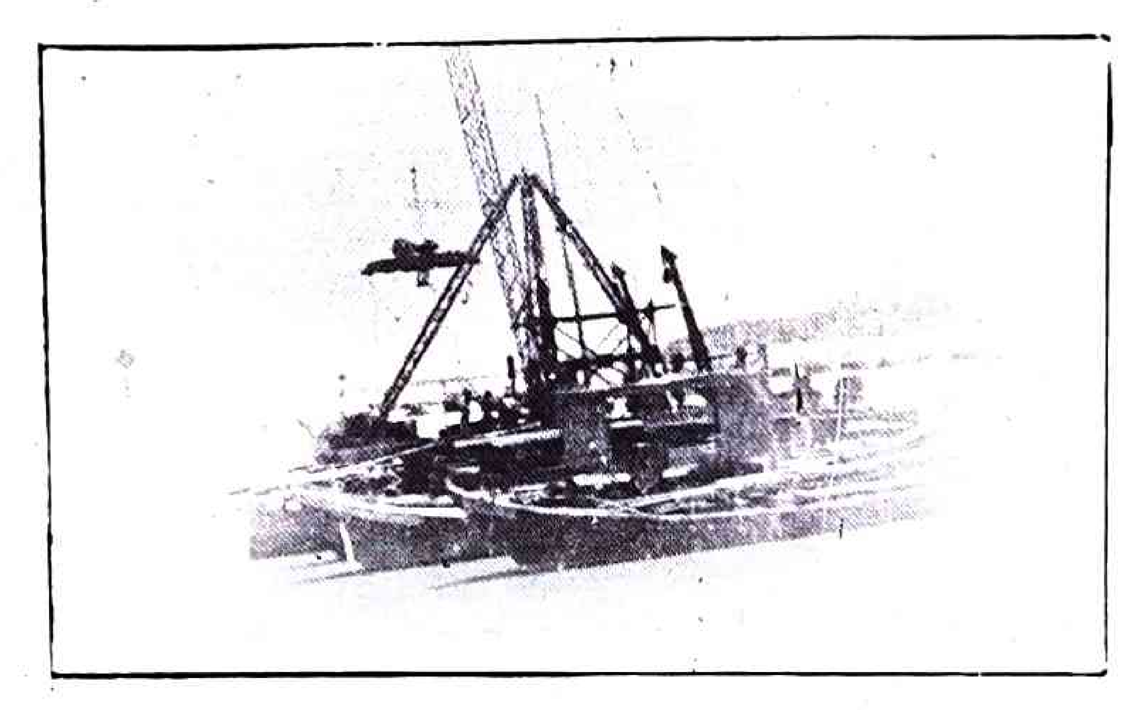
لم ينل جسر شهرة في تراثنا الشعبي العراقي القريب كالشهرة التي نالها جسر المسيب الخشبي القديم ، وذاعت عنه اكثر من اغنية شعبية ، وصار ذكره مثلاً من الامثال المضروبة في مواطن الاسى والفقدان .

يذكر الشيخ علي القسام في سِفره المطيّب بـ « ان اول جسر وضع على نهرها (يعني المسيب) يصل بين جانبيها جسر خشبي متحرك كان في عهد داود باشا التركي والي بغداد سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م)[١] » ، ونقل ذات كلامه عبد الرزاق الجزار[٢] ، الا ان الباحث احمد زكي الانباري يقول : « ان هذا ليس هو اول جسر عقد على الفرات في المسيب اذ سبقه عدة جسور عقدت على الفرات ، ولكن جنوب المدينة الحالية »[٣] دون ان يشير الى مصدر هذه المعلومة المهمة .

ورغم ان تواريخ السنين الواردة في كتاباتهم جميعاً غير دقيقة ، ولا يركن اليها ، الا انه من المؤكد ان هناك جسراً كان قائماً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ذكره الرحالة الالماني كارستن نيبور في رحلته عند مروره بالمسيب سنة ١٧٦٥ م الموافقة لسنة ١١٨٠ هـ ، ووصفه بأن « جسر شيد على العوامات »[٤] . ولم ترد في المصادر عامة اية اشارة لجسر اقدم منه .

وعلى ضوء ما تقدم فإننا نرجح قيام داود باشا بإنشاء جسر خشبي جديد في المسيب ايام ولايته ، وهو الجسر الثاني في تاريخ المدينة التي اصبحت من المناطق المزدهرة والنواحي الادارية المهمة في عهده .

يتألف الجسر الخشبي من الواح خشبية مرصوفة فوق الجساريات الممتدة بين الضفتين ، وقد ربطت بالسلاسل الحديدية والحبال المتينة . وكثيراً ما كانت تنفلت اجزاء من الجسر وتمضي مع مجرى الماء جنوباً ، واعتاد الناس تسمية هذه الحالة بـ (هروب الجسر) ، وقد خصصوا لاشعارهم السريع بذلك احد الطبالين ، فما ان يهرب الجسر حتى يبدأ الطبال بالقرع المتلاحق على طبله ، فيهرع الناس للحاق به ومسكه ثم اعادته لمكانه ، وقد تستغرق هذه العملية وقتاً ليس بالقليل ، وعندها تكون اجزاء الجسر قد بلغت مسافة بعيدة وربما وصلت الى سدة الهندية (بعد انشائها) ، فتكون اعادتها امراً غير يسير ، وهنا يخفف الرجال من عنائهم وشدة تعبهم بالهوسات والاغاني الشعبية ، ويعودون بها وكأنهم في زفة عرس .



وفي مواسم الفيضانات السنوية ، يكون تيار الماء وقتها قوياً وجارفاً ، ولا يستطيع الجسر الصمود ـ غالباً ـ امامه ، فيخشى الناس العبور عليه ، ويفضلون القُفف والعبارات ، ويرونها اكثر اماناً وسلامةً من جسرهم المتداعي .

وفي الروايات الشعبية لاهل المدينة ان عاصفة هوجاء هبّت فجاة واقتلعت اجزاءً من الجسر الخشبي ، وتسببت في سقوط مجموعة كبيرة من الناس صادف وجودهم عليه في تلك اللحظة ، ومن بينهم شاب متزوج حديثاً كان يصطحب عروسه وهم في الطريق للزيارة الى كربلاء . وهرع الرجال من اهالي المدينة ـ كالعادة ـ لإنتشالهم من الماء وانقاذهم من الغرق ، فتمكنوا من اخراجهم جميعاً الا العروس المسكينة فقد جرفتها المياه بعيداً ثم ابتلعتها الامواج الطاغية باسرع ما يتصور قبل ان يتمكن احد من الوصول اليها ونجدتها . وحين خرج زوجها بحث عنها بلهفة حتى اذا يئس تماماً من العثور عليها اصابه الذهول ، وتفجرت دموعه غزيرة وهو يبكي بحرقة لفقدانها ، ويصرخ من اعماقه ملتاعاً ، وقد تجمهر الناس حوله راثين حاله ، وراح يقول :

عـلى جسر المسيـب سيبـونـي

هـلي واحبـاب كلبـي سيبـونـي

فشاركه الالم والدموع كل من حضر ذلك الحادث المؤسف او سمع فيما بعد بقصته المفجعة ، وجاء من ينظم تلك المشاعر الحزينة ، ويضيف لها من نفسه ، فتحولت الى اشعار رقيقة واغانٍ شجية يتناقلها الناس في محافلهم :

مثـل طـير المبـركـع سيبيـونـي

ولا خـافـوا عـليَّ مـن المـلامـة

وتوالت الاضافات عليها :

عـلى جسر المسيـب شفـت لَمـه

كصـايـب سـود فـوك المتـن لَمـه(*)

واعقبتها كلمات جديدة ومعانٍ اخرى والحان مبتكرة عن جسر المسيب الذي ذاع صيته وانتشر خبره في مختلف الانحاء والارجاء :

خَيُّــــــك بـــــــابـــــــة خَيُّــــــك
الف رحمـــــــه عـــــــلى ابيُّــــــك
هـــــــذولــــــة العــــــذبـــــــوني
هـــــــذولـــــــه المـــــــرمـــــــروني
وعــــــــلى جسر المسيب سيبـــــــوني

وهكذا اصبحت مقولة « على جسر المسيب سيبوني » بستة متداولة وقريبة الى المثل الشعبي الذي كثر ضربه والاستشهاد به بين الناس عامة خلال العقود الماضية .

وكانت تستوفى رسوم عن عبور الحيوانات او البضائع على الجسر يقبضها الملتزمون الذين يستاجرون الجسر الخشبي من الحكومة سنوياً . وكان آخر الملتزمين هو ماجد المحسن . اما رسوم العبور فكانت :

٤ فلوس عن كل رأس من الاغنام والماعز
١٠ فلوس عن كل رأس من الماشية كالابقار والجمال والجاموس
٤٠ فلساً عن كل سيارة

وعندما ظهرت السيارات على مسرح الحياة ، ووصلت المسيب كان يسمح للصغيرة منها فقط بالعبور بعد نزول ركابها والامتعة ، وكانت حركة الحمالين والحيوانات دائبة على الجسر بين الجانبين ، وكان موقع الجسر قريباً من خان الوقف في الجانب الكبير الذي اقيم عليه حالياً جامع السعداوي قرب سوق الخياطين .

وقد حدثني احد المعمرين في المدينة انه شاهد احد التجار جالساً في خان الوقف مستمتعاً بشرب النارجيلة بينما كانت بضائعه تعبر الجسر من الجانب الكبير الى الجانب الصغير ، فجاء اليه احد مساعديه راكضاً واخبره ان جزءاً من البضائع قد سقط في النهر بسبب الازدحام وتدافع الحيوانات فوق الجسر . الا ان التاجر ظل هادئاً ، ولم يُعر المسالة اية اهمية ، واكتفى بقوله انه قد دفع زكاتها وما عليه من حقوق مالية لله تعالى ، وبالتالي فإنه لا يخشى ضياعها . وما هي الا دقائق معدودة حتى جاءه مساعد آخر ليخبره مستبشراً بإنتشال جميع البضائع الساقطة في النهر ، وانها سليمة لم يُفقد منها شيء .

وفي الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ م قام الثوار بإحراق الجسر لعرقلة وايقاف عبور الجيش الانكليزي المحتل الى الجانب الصغير من المدينة بعد انسحابهم اليه ، وقد تحقق لهم ذلك .

وعندما انشيء جسر حديدي في المسيب واصبح جاهزاً للاستخدام بعد افتتاحه سنة ١٩٣٩ م نقل الجسر الخشبي الى مدينة الكفل للاستفادة منه هناك . ولم ينته الحديث عن الجسر القديم بإنتقاله من المسيب الى مكان آخر بل ظل متواصلًا في البيوت والمقاهي والدواوين . كما اثار الجسر الحديدي البديل موجة من الاقوال والتقولات بسبب وجود اعوجاجين غريبين فيه ، الاعوجاج الاول في بدايته والثاني يقع في نهايته ، فاصبح بذلك وريثاً لكل ما قيل في الجسر القديم .

وكانت للجسر الحديدي قطعة متحركة في وسطه وبالذات عند الدعامة الثالثة ، وتسمى (الكطعة) يتولى امرها عمال الجسر ويسمون (الكودية) ، ولهم بناية خاصة في الجانب الصغير ، وواجبهم القيام بالاعمال الخدمية للجسر واهمها فتح (الكطعة) بطريقة ميكانيكية اذ ترفع اولًا الى الاعلى ثم تدار الى الجانب فتصبح فتحة في الجسر تسمح بمرور السفن المختلفة من خلالها .

ومن ذكريات هذا الجسر تعرضه لحادث ارتطام من احدى سفن نقل الوقود في منتصف عقد الخمسينات الامر الذي تسبب في تضعضع احدى دعائمه ، وقد تطلب اصلاحها وقتاً وجهداً كبيرين . فقد اوقفت حركة المرور عليه واحضرت سفينة كبيرة نسبياً تدعى (الدوبة) فضلًا على الزوارق الاعتيادية الصغيرة (البلام) و(القفف) لتقوم جميعها بنقل الناس والبضائع بين ضفتي النهر داخل المدينة .

ومن المناظر التي كانت مألوفة على الجسر الحديدي مرور قوافل البدو عليه مع قطعانهم الكبيرة من الجمال ، وكلاب الحراسة تعدو بينها ، ويحدث ذلك في مواسم معينة من السنة . ولاجله كان يتم تفريغ الجسر لهم تماماً بعد ان يعلن عنه ، وتقطع حركة السيارات عليه ، وعلى الاغلب يتم ذلك ليلًا ، وقد يستغرق عدة ايام ، ويستمر في بعض الاحيان من بداية الليل الى منتصف النهار . وقد تقع بعض المشاكل اثناء هذه العملية ، فقد نشرت جريدة « صوت الاهالي » يومذاك تحت عنوان « جسر المسيب » ما يأتي :

« وردتنا من المسيب كلمة يذكر فيها صاحبها ان قافلة من الجمال كانت عابرة يوم اول امس على جسر المسيب ، وكان الجسر مزدحماً آنذاك بالسيارات فلم تلبث تلك الجمال ان تدافعت ، وسقط بعضها فوق بعض من جراء هذا الازدحام ، فادى ذلك الى وفاة ثلاثة منها ، واصابة خمسة اخرى ، وكان وقع هذا الحادث شديداً على اصحاب الجمال المذكورة الذين كانوا يعولون عليها في كسب ارزاقهم ... وصاحب الكلمة يلفت انظار شرطة المسيب الى ضرورة الاهتمام بتنظيم حركة المرور على الجسر المشار اليه درءاً لما قد وقع عليه من الحوادث المؤسفة نتيجة الاهمال لتنظيم حركة المرور عليه »[٧] .

وقد يصادف احياناً سقوط احد الجمال في النهر نتيجة الزحام والتدافع الحاصل فوق الجسر ، ويغتنم القصابون هذه الفرصة فيهرعون لمساومة البدوي (المفجوع) وشراء الجمل منه بسعر زهيد ، فيضطر للموافقة لعدم توفر الامكانيات اللازمة لديه لإخراج الجمل من النهر وانقاذه من الغرق ، وضيق وقته ، وهو ـ اجمالًا ـ في عجلة من أمره .

ومن التقاليد المرتبطة بالجسر اعتياد اهالي مدينة المسيب على حمل جنائز موتاهم وعبور الجسر بها سيراً على الاقدام من الجانب الكبير الى الجانب الصغير حيث تقف السيارات بإنتظار المشيعين ، واصل هذا التقليد ان الجسر الخشبي القديم لم يكن قادراً على تحمل مرور السيارات مع ركابها عليه ، لذلك كانت السيارات تعبر مسبقاً وتنتظر وصول الجنازة مع جموع المشيعين ، وظل هذا التقليد سائداً حتى بعد انشاء الجسر الحديدي الموجود حالياً وهو قادر على تحمل مرور السيارات الكبيرة مع كامل حمولاتها الثقيلة لان الاهالي اعتادوا ذلك وصار من تقاليدهم الثابتة ، بل واصبح مصطلح (عبور الجسر) كناية خاصة بهم عن الموت ، ويُعبِّر عنها بصيغ متعددة ومختلفة في احاديثهم وحكاياتهم المتداولة ، ومن امثالهم الشائعة في

ذلك : (ماكو واحد ما يُعْبُرْ الجسر) اي لا يموت ، و(فلان عبّروهْ الجسر) اي مات وشيَّعوه ، او يسال احدهم الاخر مازحاً (اشوكت تعبر الجسر ؟) ، او (هسّه تعبر الجسر) ، وغير ذلك من العبارات الشعبية .

وأضيف في الوقت الحاضر جسر جديد الى المدينة افتتح سنة ١٩٧٩ م ، ولم نسجل ذكريات عنه بعد لحداثة عهده ، الا ان الايام القادمة كفيلة بمنحه الكثير من الحكايات الطريفة والذكريات الجميلة كي تروى للاجيال القادمة في المستقبل .

الهوامش :

(١) الشيخ علي القسام / السفر المطيب في تاريخ مدينة المسيب / مط الاداب ـ النجف ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٢٠

(٢) عبد الرزاق الجزار / معلومات عامة عن المسيب (بحث مخطوط)

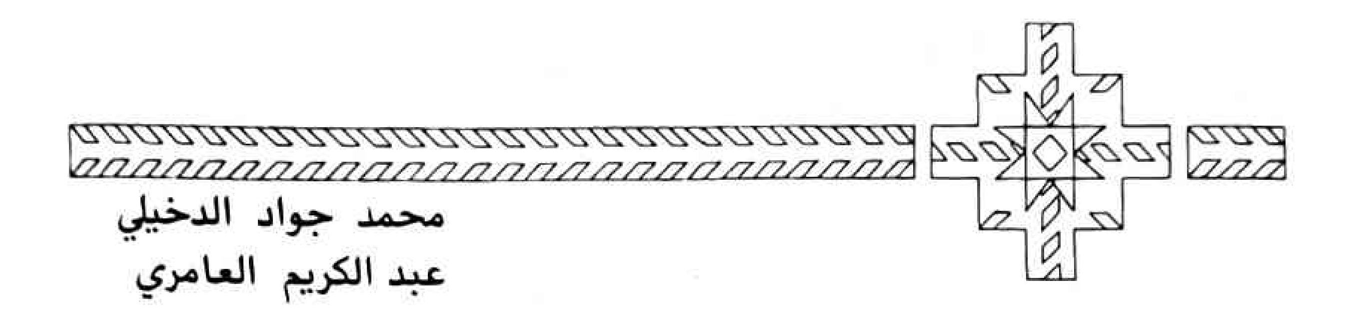
(٣) احمد زكي الانباري / المسيب تاريخ وحياة (مخطوط)

(٤) رحلة نيبور الى الحلة سنة ١٧٦٥ م / ترجمة سعاد هادي العمري بغداد ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ص ٩٩

(٥) مطلع اغنية شهيرة غنتها صديقة الملاية .

(٦) من الاغاني التي كتب كلماتها الشاعر جمال البغدادي ولحنها وغناها المطرب الراحل ناظم الغزالي .

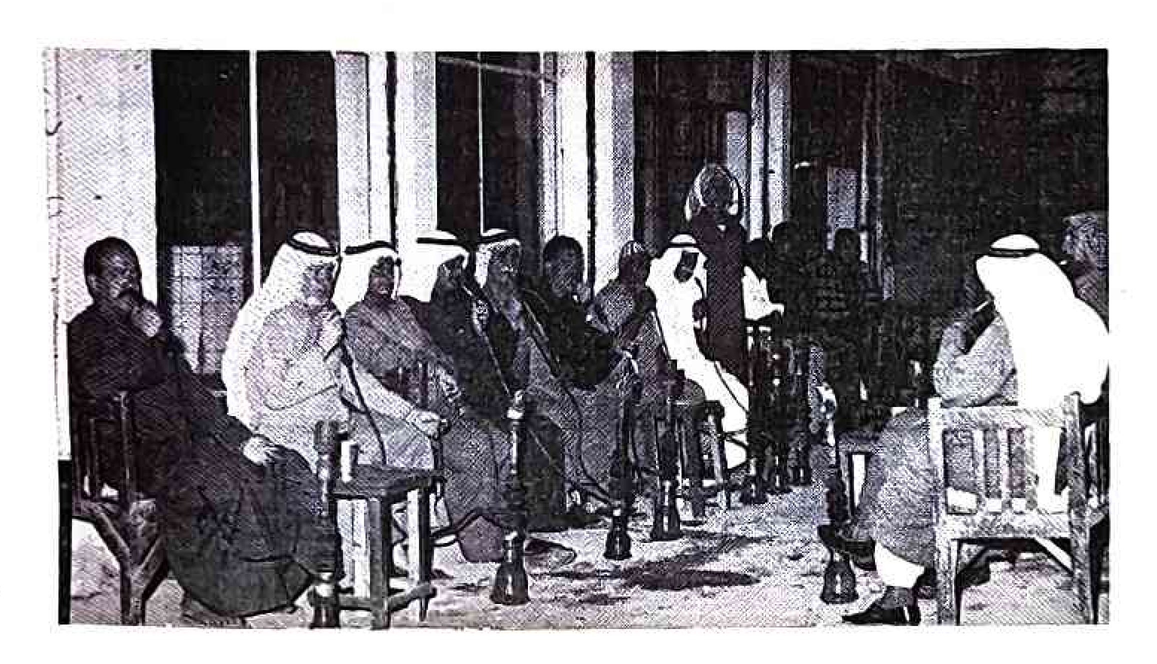
(٧) جريدة (صوت الاهالي) البغدادية يوم ٥ / ١٢ / ١٩٤٦ م



محمد جواد الدخيلي

عبد الكريم العامري

« المقاهي الشعبية في البصرة »



مقدمة :ـ

المقهى الشعبي هو المكان الذي يشعر فيه المرء بالبساطة والانزواء بعيداً عن همومه ومتاعب العصر . وكثيرة هي مقاهي العراق فمنذ مطلع هذا القرن بدأت المقاهي بالظهور وبدأ روادها من الرجال يتقاطرون عليها حتى اصبحت تعج بالكثيرين واصبح لكل مقهى روادها يستأنسون بمبانيها الجذابة وحكاياتهم الطريفة ... وذكر سائح اجنبي زار بغداد في العقد الاول من هذا القرن انه وجد في بغداد ما بين مقهى ومقهى مقهى ... والبصرة ، احتضنت الكثير من المقاهي منذ مطلع هذا القرن وليومنا هذا حتى شملت المقاهي ابعد اقضيتها (الفاو ، القرنة ، ام قصر) ونستعرض من خلال موضوعنا هذا المقاهي الشعبية في البصرة وسنذكر معها ايام البصرة الجميلة حيث شط العرب والبلم عشاري ... وساعة سورين ، نهر العشار وسنتذكر وجهاء البصرة والادباء من رواد تلك المقاهي ....

١ ـ « مقهى ام السباع »

اسسها المرحوم الحاج ناجي المعروف (ابو العشر) عام ١٩٣٣ وتعتبر من اقدم مقاهي البصرة وتقع في منطقة البصرة القديمة ، سميت المقهى بهذا الاسم كون بوابتها تحتوي على تمثالين لاسدين ، وقد كان يرتادها الكثير من الفنانين والادباء نذكر منهم المطرب المرحوم (عوض دوخي) والمرحوم الدكتور عبد الوهاب لطفي وكان المرحوم السيد (صبري افندي) صندوق امين البصرة من المدمنين على الجلوس في هذا المقهى ولساعات طويلة ويحدثنا السيد (صبيح جعفر حسن) صاحبها الحالي عن المقهى بانه كان منتدى ادبياً وثقافياً ومن عمالها المرحوم (عبد الوهاب ابو الشورية) الذي كان عضواً في (حزب الاستقلال) ويحرض الناس ضد الاستعمار والدفاع عن فلسطين وقد ادخل الى المقهى لعبة البليارد لاول مرة في البصرة بعد ان كانت تقدم الاركيلة ولعبة الدومينو والمقهى معروفة على نطاق عربي وعالمي وترد لها الرسائل من الذين زاروها من جميع دول العالم كما كتب عنها في الكثير من الصحف والمجلات المحلية والعربية مثل (المتفرج والفكاهة والف باء والعربي) وكان من روادها ايضاً المؤرخ المرحوم حامد البازي واللاعب الدولي توفيق حسين في لعبة كمال الاجسام واللاعب الدولي قاسم خشم في كرة القدم والمصارع محمد بهلوان وقد تعرض المقهى الى القصف الايراني لمرتين واما الذين عملوا فيها عبد الوهاب ابو الشورية عام ١٩٣٣ وكاظم العاني عام ١٩٤٦ وحسن هزاع عام ١٩٥٥ وخليل سلوم ١٩٥٨ وحسين ابو علي ١٩٦٣ والحاج جعفر حسين عام ١٩٦٧ حتى الان .

٢ ـ « مقهى التجار »

تأسست في فترة الثلاثينات وتقع في سوق التجار بمنطقة العشار سميت بهذا الاسم لان روادها من الشخصيات المعروفة في (لواء البصرة انذاك) نذكر منهم (عبد الكريم الخضيري وعبد النبي الشمخاني والحاج سليمان الذكير وعبد القادر باش اعيان والحاج ابراهيم البجاري وابراهيم الحاج عيسى والحاج عيسى محمد صالح والحاج محمود فخر الدين وهاشم النقيب) وغيرهم من الشخصيات والتجار . وذكر لنا ابن صاحب المقهى الحاج جاسم عبود عبد الكريم أن مزايدات تجري على التمر خلال الموسم بين التجار في المقهى وتتم الصفقات بينهم اما الذين عملوا في المقهى نذكر منهم (كريم العجلاج وسعد البغدادي وعبود عبد الكريم) وفي فترة التسعينات انتقلت هذه المقهى الى موقعها الحالي قرب الضريبة القديمة في منطقة الصالحية ويرتادها عدد من الوجهاء نذكر منهم الشيخ الحاج سالم العبادي والشيخ لعيبي حنظل والشيخ عبود التميمي والسيد كاظم البطاط والسيد اسماعيل الجابري والشيخ غازي بن محمد العريبي ومن العاملين فيها (جاسم عبود عبد الكريم وهاشم عبد الكريم) .

٣ ـ « مقهى الناصرية »

تأسست في نهاية الثلاثينات وتقع في شارع المطاعم بمنطقة العشار وكانت ملتقى

للطـلاب من الوافدين من الناصرية كما يرتادها المسافرون كونها تقع في مرأب انتظار السيارات الذاهبة الى الناصرية .

٤ ـ « مقهى الشناشيل »

تقع هذه المقهى في منطقة البصرة القديمة وكانت تسمى مقهى (هاتف) نسبة لصاحبها السيد (هاتف عبد المطلب) تاسست في بداية الثلاثينات من روادها في تلك الفترة (عبد القادر باش اعيان والشيخ صالح المناصير وعبد السلام باش اعيان) كما ان المطربين (عوض دوخي وعبد الحميد السيد) كانا من روادها والمؤرخ المرحوم حامد البازي وزين العابدين النقيب وتعتبر من اقدم مقاهي البصرة وقد اعطى البناء المعماري التراثي جمالية لهذا المقهى حيث الشناشيل والاقواس وكانت تجري فيها لعبة المحيبس الشعبية خلال اماسي شهر رمضان المبارك وتلعب فيها (الدومنة) والطاولي والشطرنج ومن عام ١٩٧٣ ادخلت لعبة البليارد الى هذه المقهى وهي ما تزال قائمة حتى الان .

٥ ـ « مقهى الجمعية »

تقع هذه المقهى في سوق هرج بمنطقة البصرة القديمة تاسست في بداية الثلاثينات .

٦ ـ « مقهى شنيف »

تقع في سوق الهرج بمنطقة العشار مقابل جامع الخضيري تاسست في بداية الثلاثينات .

٧ ـ « مقهى منكاش »

تقع هذه المقهى في سوق منطقة الجمهورية (الفيصلية سابقاً) يعود تاريخ انشائها الى بداية الاربعينـات اسسها المرحوم (محمد حسن مثنى) وبعدها عمل فيها الحاج (جمعة منكاش) وسميت المقهى باسم ابيه وكانت ملتقى لوجهاء المناطق وشخصياتها امثال الحاج حاتم الجوزي والمحامي محسن الزبيدي ثم كانت ملتقى للشعراء الشعبيين امثال صابر خضير / مهدي السوداني / ونوري حياز / وعلي الكعبي / وفالح الطائي والشاعر الشهيد (عطا عوده الشهد) وجبار اللامي / وعباس جيجان وكانت لها اماسي في شهر رمضان وتعقد في ارجائها حلبات لعبة المحيبس الشعبية وكان يرتادها الهزلي المرحوم سعدون الاسدي ابو بشير (الشقندحي) ..

٨ ـ « مقهى طارش »

تاسست عام ١٩٤٠ وموقعها في منطقة ام البروم وكانت ملتقى لا هالي العمارة كونها قريبة من كراج بصرة ـ عمارة ولها نكهة مميزة حيث كانت اصوات داخل حسن وحضيري ابو

عزيز تسمع منها عبر اسطواناتها ويحدثنا صاحبها الحاج (طارش سهل مطر) انه في نهاية الستينات كان يرتادها (تومان) وهو شخصية فكاهية بصرية يعزف على الة الناي بأنفه ومؤسسها هو الحاج حبيب الملاك وقد عمل فيها منذ ذلك الحين مجيد مشيمش وانتقلت بنايتها الى جوار سينما (الكرنك عام ١٩٧٤) .

٩ - « مقهى السيمر »

تقع هذه المقهى مقابل المحكمة القديمة في منطقة البصرة القديمة اسسها السيد (زكي) وعمل فيها (فاضل الكهوجي) ثم المرحوم ناصر ابو مؤيد يعود تاريخها الى بداية الاربعينات وكان يرتادها انذاك مختار المنطقة (محمد الحلفي) ومن ميزته انه يحمل سوطاً ليضرب به كل من يتشاجر من اهالي المنطقة كذلك من روادها (صبري افندي) صندوق امين البصرة كونه يسكن بالقرب منها ... سميت بهذا الاسم نسبة الى منطقة السيمر حيث كان يشق المنطقة نهر تدخله الزوارق الصغيرة (البلم) وهي محملة بالقصب والسعف ويكون عندها التسامر .

١٠ - « مقهى الصكاره »

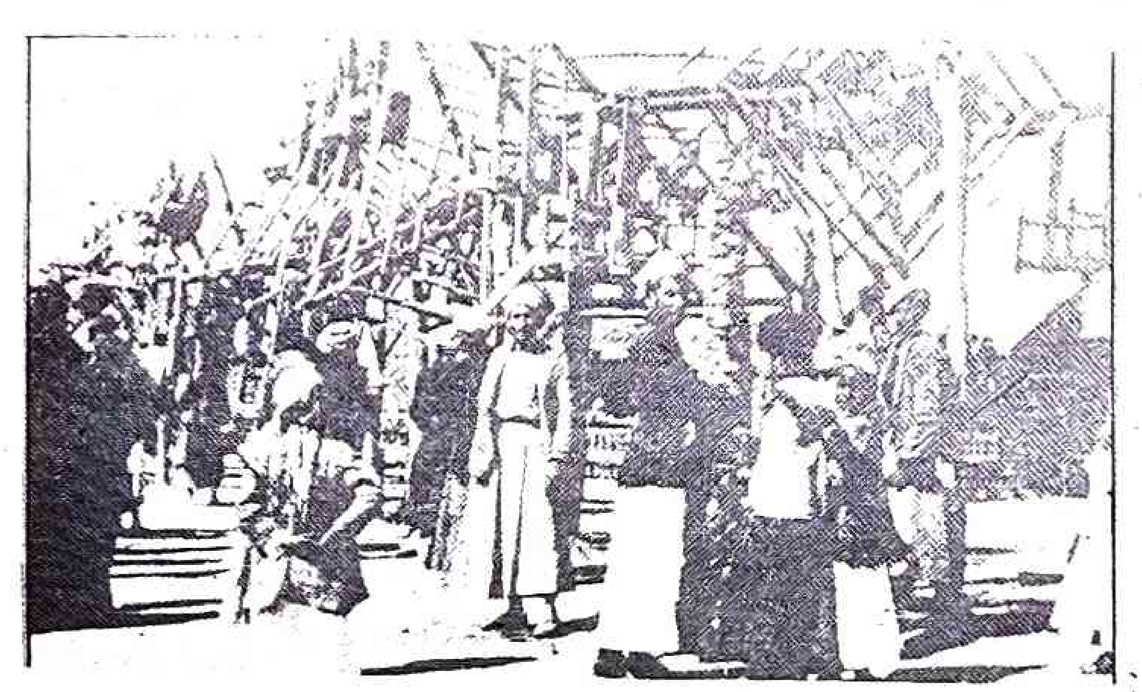
تأسست في بداية الاربعينات ، تقع في منطقة البصرة القديمة بالقرب من السوق تعتبر ملتقى (الصكاره) في المدينة وهم الذين يهتمون بتربية الطيور والدجاج الهندي والتركي ، كانت تجري فيها مسابقات (الصكاره) للتباري بين الديكه وهي من الالعاب الشعبية واصل اللعبة من الهند ويعود تاريخ اللعبة كما ذكر احد رواد المقهى الى العصر العباسي حيث ادخلت هذه اللعبة الى البصرة عن طريق الزائرين كونها ميناء ترسو فيه البواخر القادمة من البحر وهذه اللعبة لها جمهورها الخاص وحكاياتها الجميلة .

١١ - « مقهى البدر »

اسسها السيد مهدي سليم البدر عام ١٩٤٥ تقع على ضفاف شط العرب تعتبر من أهم مقاهي البصرة الثقافية كون جميع روادها من الادباء والمثقفين امثال (بدر شاكر السياب ومحمود عبد الوهاب ومحمد جواد جلال ومحمد الحبيب ومحمود الظاهر ومحمد خضير ومحمود البريكان وزكي الجابر وسالم علوان الجلبي وجبار صبري العطية والمؤرخ المرحوم حامد البازي وبنيان صالح وحميد مال الله ام الشخصيات الاخرى (د . عبد الهادي محبوبة رئيس جامعة البصرة آنذاك د . نزار الشاوي واكرم محمد صبحي) ومن الاطباء (مصطفى الخضار ومصطفى النعمة) ومن الوجهاء (ابراهيم الخضيري وعلاء المنديل ورجب بركات وتوفيق النقيب وقاسم النعمة ومحمد الشعيبي وعبد الكريم العطار ود . نجاح عبود الزهير وقحطان الحديثي ومهدي العطية ود . شاكر البجاري وغسان المناصير وعبد الخالق الحمد) وكذلك كان يرتادها الشهيد عدنان خير الله طلفاح في فترة الستينات حينما كان ضابطاً في الجيش في البصرة ...

فخري حميد القصاب

اهازيج الصبية والاطفال ومشاكساتهم في العيد !



لا يشهق الاطفال بالفرح في حياتهم الطفولية ، قدر شهقتهم بإطلالة العيد الملفع بالمباهج والافراح .. فهذا الطالع الذي ياتيهم مرتين في العام الواحد ، عيد الفطر وعيد الاضحى ، لا يحسبونه اياماً معدودات تمر بهم فلا تلبث ان تمضي كما تمضي سحابات الصيف ، وانما يعدونه عالماً سحرياً مضمخاً بعبق الاطايب من كل لون ، ويحسبون كل يوم من ايامه القليلات دهراً يفيض بالمرح والنشوة الغامرة ، ففي العيد يلبسون كل جديد من الرأس حتى القدمين ، وفيه تمتلىء الجيوب الخاوية بقطع النقود التي تحقق لهم ما تشتهي انفسهم من صنوف الحلوى ، والكرزات ، والعنبة ، والابيض وبيض ، والشربت الازبري ، وركوب الاراجيح (المراجيح) والعربات التي تجرها الخيول بانواعها ، فتراهم يمتطون ظهور الحمير الحساوية من منطقة الى اخرى بزهو ولا كزهو عنترة بن شداد ! .

•باچر عيد ونعيِّد•

في عصرية اليوم الذي يسبق انبلاج فجر العيد ، وهو ما يطلق عليه يوم عرفات ، ينطلق

الصبية والاطفال على شكل مجاميع في المحلة وقد اخذهم الفرح كل ماخذ وهم يرددون انشودة متوارثة :

باچر عيد ونعيُد
ونخربْ بيت ابو شميُد
(او) ونصبغ لحية سعيد
وسعيد كرابتنه
ونذبحله دجاجتنه

ولايعرف من هو (سعيد) هذا على وجه الدقة ، بيد ان الشيخ جلال الحنفي يذهب الى ان المقصود هنا هو (سعيد باشا) والي بغداد في العهد العثماني الذي كان سيء الصيت وقد قتله داود باشا الذي خلفه في الولاية (لعب واغاني الاطفال الشعبية في الجمهورية العراقية ـ حسين قدوري ـ بغداد ١٩٨٨ ـ ٣ : ١٣٦)

● شوط شوط عيده ●

ويبيت الاطفال ليلتهم على احر من الجمر وفي مخيلتهم اجواء مسارح اللهو والانطلاق المتمثلة بفضاءات المراجيح ودواليب الهواء (الكواريك) التي تتناثر في هذه الزاوية او تلك تسمى (الوكفة) .. وما ان تشرق شمس اليوم الاول من العيد الا وتراهم متشبثين بالمراجيح وقد راح صاحبها ينشد ومعه الاطفال يرددون على حركة ايقاع الارجوحة :

شوط شوط عيده
وچفيه على المنخل
شنخل شنخل بالمنخل .. الخ

وتعد نهاية المقطع الاخير لهذه الانشودة بمثابة الاعلان ، من قبل صاحب الارجوحة ، عن انتهاء الوقت المخصص لركوب الاطفال لياتي دور الاخرين في الصعود اليها . وما ان يأذن اليوم الاخير من العيد بالانصراف ، وقبل ان يسدل الظلام استاره حتى يطفق الاطفال منشدين وهم يودعون ايام العيد :

راح العيد وهلاله
وكلمن رد على جلاله

● اهازيج العربات والسيارات ●

مثلما كان للاراجيح اهازيجها واغانيها ، كانت للعربات (الربلات) والاخرى التي تسحبها الخيول ، بل وحتى السيارات الخشبية التي كان يندس في جوفها الاطفال .. كانت لها اغانيها واهازيجها الخاصة بها ، وكان هؤلاء الاطفال كانوا يفقهون مقولة (لكل مقام مقال !) فكنت ترى مجموعة منهم وهم يملأون احد الربلات ومشيرين الى احدهم :

واي واي صُبْ ياولد
هيْ هاي سِنّه ذهبْ !

وقد راح الحوذي (العربنچي) يلهب ظهور جياده بسوطه على انغام هتافاتهم الصاخبة ! بينما تشاهد في الجانب الاخر من الشارع او الطريق سيارة خشبية حبلى بمجموعة اخرى من هؤلاء الاطفال وهم يصفقون ويغنون لسائقها الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة تفصح عن الرضا والاعجاب بنفسه :

هذا سايقنه الورد
هسّه يوصلنه ويرد

في حين تلمح مجموعة اخرى داخل سيارة مماثلة يتغنى راكبوها من الاطفال بسيارتهم المحبوبة التي تمشي الهوينا على الطرق المبلطة وغير المبلطة :

سيارتنه المحبوبة
تتدعبل مثل الطوبة !

وأذا التفت، سيارة او عربة عائدة بمجموعة اخرى تصفق وتردد وكانها عائدة بـ (عروس) في ليلة زفافها : « جبناها وجَتْ ويّانه » ، بينما يردد آخرون :

رحنه وجينه سلامات
واحد وگع واحد مات !

وهذه جمهرة من الاطفال تستقل عربة وهم ينشدون والابتسامات تطرز شفاههم الطرية :

يا عيد يا بو نمنمه
خذنه وياك للسينمه
يا عيد يا بو مرايه
خذنه وياك مشّايه

• هوسات واهازيج المشاكسات •

قيل ان للاطفال عالمهم الخاص .. وقيل ايضاً ان ذلك ليس صحيحاً . فالمجتمع بجميع ملابساته هو الذي يشكل نفسية الطفل ، وهو الذي يحدد له طريقة سلوكه وتصرفاته وتفكيره ، والطفل يتفاعل بما حوله بما يحسه ويراه .

وبقطع النظر عن صواب هذا الرأي او ذاك ، فإن الطفل يقول ما يطفو في وجدانه بصورة عفوية دون قيود او مؤثرات . ومن هذا المنطلق كان الاطفال يهزجون ويغنون في العيد دون رقابة من احد حتى وان كان الكلام مقـذعـاً اوجارحاً لبعض الشرائح الاجتماعية التي يصادفونها اثناء انطلاقتهم في العربات والسيارات وغيرها . وللتدليل على ذلك ننتقي باقة من هوساتهم واهازيجهم التي تنم عن روح المشاكسة التي يتصف بها معظم الاطفال :

• اذا صادفتهم سيارة تمرق من امام السيارة التي يستقلونها او تقابلهم وجهاً لوجه هتفوا منشدين : « ديوز وانكسر سكانه » .. او :

هوب هوب طفّي

كدامك الطشة
لوري وكع بالبير
مخُذ سمع حِسّه !

• واذا ما صادفوا امامهم (افندي كاشخ) يتبختر مزهواً بهندامه الجديد راحوا يمطرونه بوابل من سخريتهم اللاذعة مرددين :

افندي من جذب جذب
كمكولته ذيل الجلب !

او قالوا : « لابس قندره والقاط مو ماله » .. واذا كان السائر في الطريق مجموعة من (الافندية) رددوا مهوسين : « كل عشرة بفلس ذولة الافندية !! » فلا يلبث هؤلاء الذين باتوا (مسخرة) الاطفال أن يحثوا الخطى مبتعدين عن انظار هؤلاء الاطفال وشقاواتهم !
• والويل للرجل الملتحي ان هو صادفهم ، واذا ما وقع ذلك فعلاً فلا مندوحة من ان يتلقى اهزوجتهم اللاذعة :

عفيه تمر ما بيه نُوه
إلزم لحيتك لا يطيرها الهوه !!

• والاطفال يصبون جام سخريتهم على مرتدي الملابس الشعبية من طبقات الناس لان براءتهم وسذاجة عقولهم لا تمنعهم من اطلاق هوسات السخرية منهم . فمثلًا اذا جازف رجل يرتدي (الكشيدة) وان مرَّ بالقرب منهم قذفوا بوجهه هوسة مفادها :

عمي يبو الكشيده
فلسين ماكو بيده !

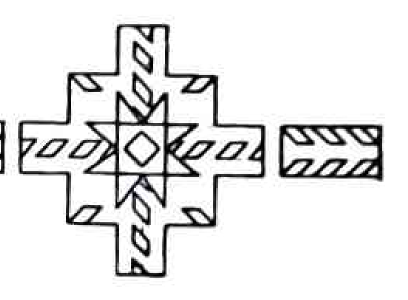
• وهذا رجل يعتمر (العقال) وقد أسلم أمره الى الله وهو يسمع منهم هذه الاهزوجة الجائرة بحقه :

عمي يبو عكال الصوف
يمشي ويلگط گطوف !!

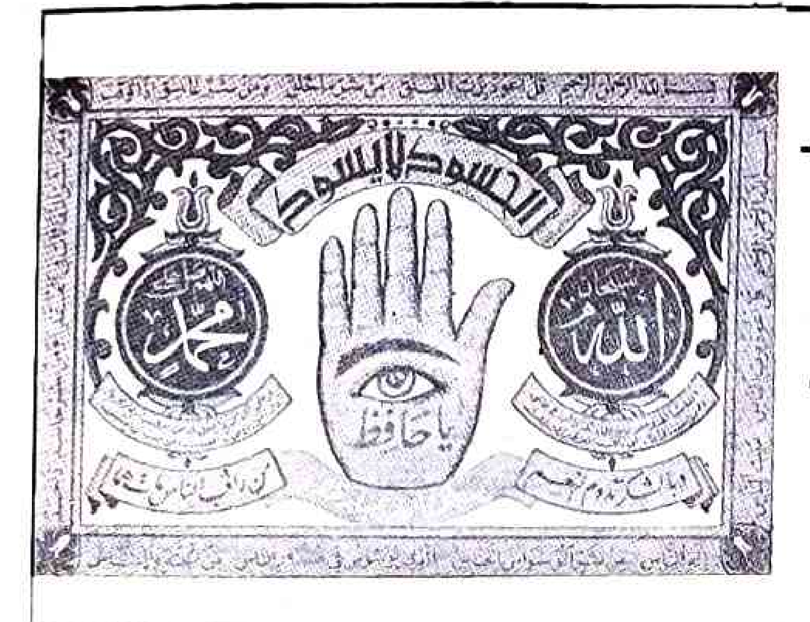
• ويوم كان جباة منشاة نقل الركاب يرتدون زياً موحداً ، كان معروفاً الى عهد قريب ، كان الاطفال يهزأون من ملابسهم ، وقد جسدوا ذلك بإهزوجتهم القائلة :

شيلوگله للجابي
الّا خلگ گونية !!

وفي كل ذلك كان هؤلاء الاطفال لا يأبهون بردود الافعال التي تنفجر لدى بعض هؤلاء الناس على شكل سباب او استنكار او صيحات غضب ! بيد أن ثغور بعضهم تفتر عن ابتسامات مصطنعة يقصدون بها اغتيال خجلهم ، ولكنهم في النهاية يتحاشون السخرية وفي انفسهم امنية بالاقتصاص منهم لولا كونهم احباب الله ، والعقلاء منهم يفقهون دخائل نفوس هؤلاء الاطفال ونقاء قلوبهم الفضة فلا يصدر عنهم اي نوع معين من ردود الفعل ، بل يسلكون طريقهم بشكل اعتيادي وهم يكتمون في افواههم خلجات ضحكة يستحقها عالم الطفولة البريئة .



باسم عبد الحميد حمودي



مقدمة في

تاريخ السحر قديماً وحديثاً

عرف الانسان السحر باشكاله البدائية منذ بدء تفكيره بما حوله عند وقوفه عاجزاً بازاء حركة الطبيعة ، رياحها العاتية واصواتها الغامضة الاخرى ليلًا ونهاراً ، ومظاهرها المختلفة المتمددة كالرعد والبرق والعتمة والضوء بدرجاته ، واصوات الغابة الغامضة ، بل وحتى صوت الصمت الموحش .

وقد تطورت دوافع السحر من خوف من مجهول لا يعرفه الانسان البدائي الى محاولة مقاومة هذا المجهول بالتصويت والصياح (ربما) ويقرع الادوات والصياح معاً (مظاهر الهياج الشعبي عند الخسوف والكسوف) ثم بايجاد الوسائل الدفاعية لحماية النفس من هذا المجهول .

ولا يمكن على وجه الدقة تحديد الصياغات السحرية الاولى التي بدأ الانسان القديم باستخدامها قبل اللغة المنطوقة ، لانها اساساً لم تصل الينا بسبب عدم تدوينها او حفظ مظاهرها في المتحجرات ، ولكننا نستطيع إدراك ان لجوء الانسان الى عبادة مظاهر الطبيعة (الشمس والقمر والنجوم والاشجار وسواها) كان بسبب خوفه منها اولًا ومحاولته ترضيتها عن طريق اعطائها صفة القداسة وبالتالي ايجاد سبل الحماية الذاتية والجماعية له بواسطتها من الاخطار التي تحيط به .

« ويذهب مالينفسكي في تحليله لدور السحر الى القول بان ما يؤديه السحر في عالم البدائيين يشبه ما يؤديه العلم في المجتمعات المتقدمة »[1] ، وذلك لانه يشكل الحصانة التجريبية الاساسية وسط عالم يتكون وتتمظهر مقوماته وتزداد غنى بالتجربة ، وبالاوهام

المحيطة بالطبيعة (وتصرفاتها) ومحاولة الانسان البدائي ايجاد اجوبة شافية لاسئلته حول وجوده وطبيعة المخاوف التي تساوره بعد تطور المجتمع من مجتمع العصر الحجري الاول الى الوسيط ثم الحديث الذي ظهرت فيه الزراعة وقد تم ذلك قبل نحو عشرة الاف عام[٢] .

عند بدء المجتمع الزراعي تبدلت حياة الانسان بالاستقرار المكاني الذي صاحبه التدجين وازداد تفكيره بشأن القوى الطبيعية الكبرى ، فقدم القرابين لها متعبداً وقد اختلطت لديه طقوس العبادة باعراف السحر فالاصل ان يحمي الانسان ذاته بكل وسيلة .

لقد وجد الاثاريون في تل الصوان (وهو مستوطن عراقي من اطوار العصر المعدني الاول اي في حدود ٥٦٠٠ ق م) هياكل آدمية ومنها هيكل إمرأة دفنت معها قلائد من الخرز من بينها حرز من النحاس الخام[٣] ، وبذلك يبدو الايمان بالتعويذة وسيلة للخير ودفعاً للشر وكان هذا السعي قديماً قدم الحضارة الانسانية وتعقدها بعد ذلك .

لقد حكم الملوك العراقيون بعد هذا دويلات مدنهم الاولى كحكام وسحرة في آن ، وكان « اتحاد اللقب الملكي مع واجبات الكاهن شائعاً في ايطاليا وفي اليونان القديمة »[٤] ، ويقول فريزر انه في المجتمعات المبكرة « كان الملك في الغالب ساحراً وكاهناً في الوقت نفسه »[٥] ، ولذا كانت (الدولة) او (السلطة) او (السحر) صنوان ، وقد حصل ذلك الاختلاف الظاهري بين الدولة (السلطة) والسحر عند بروز الدين قوةً عليا وخضوع الدولة (السلطة) له بشكل مظهري في وقت تعايشت فيه هذه السلطة مع الدين بصفة الحاكم الهاً او جزءاً من اله ونحن نجد هذا عند الفراعنة والبابليين وشعوب متعددة اخرى في وقت استخدم فيه الكهنة السحر والعرافة وسيلة للتاثير على السلطة وعلى الناس معاً وبذلك اضحى السحر سلاحاً بيد القوة البشرية العليا في المجتمع اضافة لوجوده في الطبقات الدنيا .

ويرى بعضهم « ان السحر لا ينبع من ملاحظة الطبيعة او المعرفة الخاصة بقوانينها بل هو حيازة الانسان العريقة التي لا تعرف الا من خلال التقليد السائد في المجتمع ، ومن تاكيد هذا التقليد على نجاح الانسان في تحقيق الغايات المرجوة ، ومن هذا المنطلق يتبين ان السحر لا يمثل قوة شمولية بل قوة خاصة وفريدة من نوعها في الانسان ، تنطلق اعتماداً على الفنون السحرية التي يستعملها وتتدفق مع صوته وتنتقل عبر الطقوس التي يلجأ اليها »[٦] ولاشك ان هذا التحليل لا يجانب الصواب ولكنه يقترن بتقدم الصياغات السحرية وظهور مجموعة سحرة ـ كهنة في مجتمع من المجتمعات البدائية بحيث غدا السحر خاصاً ، بمعنى اخر غدت ممارسته ملكاً لافراد بعينهم في وقت كان مأمولاً ان يكون حاجة عامة لتامين ما اعتقده الانسان البدائي من حماية عامة .

لقد حولت السلطة السحر من الاجتماعي العام الى الكهنوتي ـ السحري الخاص لتحاول تركيز كل وسائل القوة بيدها ، ومع كل هذا تبدو دراسة السحر بوصفه جهداً انسانياً معرفياً ضرورية لمعرفة اصول (الطاقة) التي يمتلكها في التاثير على البشر عبر الدراسات التي كتبت حوله .

اننا نجد ان العرب المسلمين كانوا ابرز من كتب عن السحر ودرسوا تفاصيله ، ومن كتبهم المهمة كتاب ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : « تلبيس ابليس » ، وكتاب « شموس

الانوار وكنوز الاسرار أو سحر وطلاسم القاهرة » لابي عبد الله محمد بن محمد القيرواني ، وكتاب احمد بن علي بن احمد « المحلى في علم الرمل » وكتب ابن سينا الثلاثة : « النيروزية في حروف ابجد » و « مجموعة ابن سينا في علم الروحاني » و« شفاء الاسقام في علوم الحروف والارقام » وكتب محيي الدين بن عربي الاربعة : « قرعة الطيور لاستخراج الفال والضمير » و« القرعة المباركة الميمونة والدرة الثمينة المصونة » و« المبادىء والغايات » و« مواقع النجوم ومطالع أهلّة الاسرار والعلوم » وكلها مطبوعة ، وهناك ايضاً كتاب ابي بكر الباقلاني الذي حققه ريتشارد مكارتي وصدر تحت عنوان « البيان عن الفروق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والنارنجات » وهو كتاب يفرق بين التدابير الروحية السامية واستخدام السحر .

ومن الكتب العربية الاخرى كتب ابي معشر الفلكي المتعددة منها : « علم النجوم وكشف الاسرار والقوارع » وكتب محيي الدين البوني ومنها : « رسالة السر الكريم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم » و« رسالة في احكام البروج » وكتابه المهم « شمس المعارف الكبرى » فضلًا على كتاب ابي الريحان البيروني « التقييم في اصول التنجيم » ، وهناك الكثير من المؤلفات العربية التطبيقية في السحر وتفاصيله المعتمدة على الرمل والمندل وعلم النجم وعلم الحروف وغيرها .

ويستعين البوني لدفع السحر واثره على الناس باسماء الله الحسنى في كتابه « شمس المعارف الكبرى » ، وبمسارات النجوم والكواكب وبالارقام ومنازل القمر واسرار البسملة وفي خواص اوائل القران الكريم وبالرياضيات والاذكار والادعية وبعلم الزايرجه والموازين وبقواعد علم الجفر وباعمال السيميا .

وعلم الزايرجه علم حروفي له قواعده القائمة على قوانين ثلاثة هي ١ ـ المركز حيث يؤخذ اسم الطالب وكسره في البداية ثم تجري عملية جمع وتكسير وضرب بالاسس للوصول الى اسم صاحب الاذى ، اي اسم من آذى المستعين بالزايرجة دفعاً للشر .

٢ ـ القانون الثاني يتلخص في اخذ اسم الحاجة وتجري عليه الاجراءات نفسها

٣ ـ القانون الثالث هو جمع اسم الحاجة وحروف اسم الطالب واجراء ذاتها العمليات

وينسب البوني علم الجفر للنبي سليمان ، وهو علم حروفي ايضاً ، ولكل حرف رقم خاص ومنزلة ترتبط بالبروج ، ويروي البوني عن آصف بن برخيا عن النبي سليمان ما دونه هو عن الحلاج في علم السيميا ، وهو علم تدبيري روحاني كما يصفه البوني ، فاذا دخلت في تفاصيل هذا (العلم) وتجاربه وجدت التعاويذ والوصفات مليئة بحروف سريانية وعبرية تستعين بكلمة العجل وبالرماد وبكلمات استخارة مثل :

باهياً شراهياً ادوناي اطيوش [المقالة السادسة]

أو

ايه ايه ابدا الوحا العجل [المقالة التاسعة]

والبوني يحذر في بدء كتابه من استخدام التعاويذ والادعية والاوفاق في ما هو شرير ويقول « حرام على من وقع كتابي هذا في يده أن يبديه لغير أهله أو يبوح به في غير محله

فانه مهماً فعل احرمه الله تعالى منافعه » ثم يدعو الى الطهارة عند قراءته والى عدم الاستعانة بارفاقه وتعاليمه الا فيما هو خير مكرراً او محذراً .

ومن دراسات السحر العربية الحديثة دراسة وحيد عبد السلام بالي : (وقاية الانسان من الجن والشيطان) ودراسته (الصارم البتار في التصدي للسحرة الاشرار) وهما دراستان تقفان ضد السحر والشرور الناتجة عنه ، وتتصديان له بالتعاويذ والادعية والاوفاق ، وهما بذلك تستخدمان السلاح ذاته ولكن لتحقيق السحر الابيض في إبطال سحر التفريق بسحر المحبة ، وابطال سحر الجنون والخمول والهواتف والربط والعين بعلاجات سحرية اخرى .

ويورد عبد الفتاح السيد الطوخي في كتابه « السحر الاحمر » عدة أحجبة وطلاسم وتعاويذ للبغضة والطلاق وجلب السحر وللسل والتهييج وللرمد والنزيف وكل ذلك في مجال السحر الاسود ، ثم يورد أحجبة وتعاويذ لجلب الرزق وشفاء المريض وللهيبة ، اي انه يضع امام القارىء وممارسي السحر من المشعوذين الوان السحرين الاسود والابيض .

ومن طرائف ما جاء في كتاب الطوخي في باب (إشعال قلب انسة في محبة عاشق) قوله [**اذا اردت جلب من تريد تاخذ بيضة وتسلقها وتقشرها وتقشر القشرة الرقيقة التي على البيضة وتكتب عليها قوله تعالى : « كلما اوقدوا ناراً » اشعلت قلب فلانة بنت فلان بمحبة فلان بن فلانة » وتقسم البيضة نصفين على اسم من تريد واسم امه وتطعم نصفها لكلب اسود ونصفها لقط اسود**] !! ، والكتاب مليء بمثل هذه التعاويذ ، والمهم هنا ليس في بساطة مثل هذه التعويذة بل في وجود انواع من الطلاسم والاعمال السحرية المتعددة الجوانب التي ينتج عنها ـ في عرف الساحر ـ طرد الشر أو جلبه ، وجلب الخير أو منعه ، وبذلك يكون للساحر في الفكر الشعبي دوره المؤثر قبولًا أو رفضاً ويكون له تاثيره على البناء الاجتماعي .

ولعل من معاد القول ان نذكر ان السحر قائم على اساس وقوف الانسان عاجزاً امام القوى الطبيعية ومحاولته الدائبة في الاستعانة باية قوة خارجية أقوى منه لطرد الشر وجلب الخير ومن هنا نشات الحاجة للكهانة والعرافة ، وتداخل السحر بالدين في المجتمعات البدائية ، وفي ذلك نجد تحليلًا للدكتور قيس النوري خلاصته « ان السحر انساني ليس فيما يجسده ويعبر عنه فحسب بل في موضوعاته ومواده ، وهو ليس موجهاً للطبيعة بقدر ما هو موجه لعلاقات الانسان بالطبيعة وللنشاطات البشرية المؤثرة بها »[٧] ، ويقول د . النوري ايضاً « ان اثار السحر لا يمكن أن نفهمها كحاصل ناتج من الطبيعة متاثر بالاعمال السحرية بل هي اشياء سحرية محضة لا تنتج عن الطبيعة بل عن قوة السحر نفسها ، وأن اخطر انواع المرض وأعقد تجارب الحب وما شابه من ظواهر مرتبطة بالذهن والجسد البشري هي النتاج المباشر لرقية الساحر ، وعلى ذلك فالسحر هو حيازة الانسان العريقة التي لا تعرف الا من خلال التقليد السائد في المجتمع »[٨] وهو بذلك يعد السحر قوة خاصة كامنة في الانسان وجسمه ، ولذا فالمجتمعات البدائية تفهم السحر على انه جزء لا يتجزأ من الانسان ذهناً وجسداً وصوتاً وحركة وتاثيراً .

ويرى فريزر ان مبادىء السحر تنقسم الى نمطين اولهما السحر التشبيهي وهو أن الشيء ينتج مثيله والثاني هو أن الاشياء على اتصال واحتكاك ببعضها ويستمر تاثيرها

على بعضها حتى بعد انفصالها وابتعادها مادياً وسمي الاول قانون التشابه والثاني قانون العدوى والاتصال .

ومن انواع السحر ، السحر العدواني حيث ان اجزاء الجسم برغم انفصالها فانها ترتبط ببعضها على رأي الفكر الجمعي البدائي ، فجماعات باسوتو في افريقيا يحذرون من ترك السن بعد قلعه في مكان مكشوف وبعض الجماعات الاخرى تعتقد ان الاثر الذي يخلفه الانسان على بقعة طينية يمكن أن يستغل سحرياً كما هو الحال في استراليا وفي اليونان القديمة .

في ماليزيا يسود الاعتقاد بان القوة السحرية التي يمتلكها الانسان وتدعى المانا تختلف تاثيراتها استناداً لمدى فعاليتها لديه ، وعلى ذلك فالمانا كطاقة سحرية موجودة لدى الزعماء اكثر من سواهم وهي تنتقل بالوراثة ، ويسود ذات الاعتقاد في جزر البولونيز حيث ان المحارب الشجاع الذي ينتصر في الحروب لابد أن يكون محاطاً بقوة سحرية قوية ، وهو لا يموت خلال المعركة او يجرح الا اذا سقطت المانا منه ، ونجد الاعتقاد ذاته يتعلق بالزراعة فالارض التي لا تثمر تكون قوة المانا لديها ضعيفة ، وكذلك الامر لقارب الصياد الذي لا يصيد أو يصطاد قليلاً ، وعلاج ذلك يستدعي حضور الساحر لاجراء طقوسه السحرية ، ومعنى وجود المانا في الارض وفي الادوات (القارب) ان طاقة السحر تتعدى حدود الانسان الى النبات والارض فضلاً عن النساء والاطفال ومن تظهر عنده المانا من البشر او النبات او الارض على المجتمع احترامه وخشيته وطلب رضاه .

ومن تطبيقات السحر الاخرى ما يحدث عند مجموعة عشائر الزوني وهي جزء من عشائر البيبلو الكبيرة في شمال المكسيك ، حيث تعد ارض الزوني ارض مقفرة قليلة المطر لذا فهم يعتمدون على القوى السحرية لتنفيذ اي عمل او رغبة ومن هذه الرغبات الحيوية :

الحصول على المطر

ويتبع الزوني هنا قانون التشابه السحري القائل ان الشيء يحدث شبيهه ، اي انك ـ هنا ـ تصطنع اسباباً معينة لتوليد نتائج بعينها ، وهنا ـ عند الزوني . يدخل الكهنة الخلوة لطلب المطر وفي طريقهم « يدحرجون الاشجار على الارض لتحدث بتصادمها اصواتاً كقصف الرعد ويرشون الماء لينهمر المطر »[٩] فضلاً عن قيامهم بعدة صلوات وادعية متعددة وبعضها يستغرق مدة طويلة . وتحكم الزوني هيئة من كبار الكهنة وحكومتهم دينية تماماً ، تقودها مجموعتان ، الاولى هي الالهة المقنعة أو الكاتشينا والثانية كهنة الكاتشينا وهم رؤساء دنيا الميتا ـ واقع ، اي التي تتحكم بحركة البشر وحياته ، فضلاً عن الجمعيات الطبية السحرية .

ويستخدم سحرة البيبلو عامة طريقة الضرب بالسياط للصبي المراهق وقت « التنصيب القبلي له »[١٠] فضلاً عن استخدام الإله المقنع أو الكاتشينا هذه الفعالية لطرد الجن من الانسان الذي يصاب بالمس .

وتشكل ممارسة السحر لدى البيبلو (الجماعات الاثنية الممتدة من الاسكا الى الحوض الكبير في جنوب غربي امريكا) خوفاً كبيراً ، ذلك انهم يدركون أن الطبيب الساحر يستخدم

قوته لاحداث الضرر[١١] وتعتقد قبيلة الموجاف ان من طبيعة الطبيب الساحر ان يقتل الناس مثلما يكون من طبيعة الصقر ان يقتل صغار الطير لتكون طعاماً له وعلى العكس من القوانين الاعتقادية الحاكمة التي تحكم تصرفات قبائل الهنود الحمر والمكسيكيين القدامى نجد أن الدوبو استناداً لكتابات د . مالينوفسكي ود . روث بندكت لا رؤساء لهم وليس لديهم قانون ظاهر سوى قانون العداء للاخرين ، والدوبو اساساً يسكنون جزيرة تقع ضمن جزر دانتو كاستو[١٢] القريبة من الساحل الجنوبي لشرقي غينيا الجديدة ، وتضم كل قرية من قراهم مجموعة قليلة من الناس ترتبط بما يجاورها من القوى التي تعيش على الساحل ولهم طقوسهم الخاصة في دخول القرية والخروج منها ، وكل شيء يتم عندهم بتلاوة الرقى والعزائم ، من السفر ، الى الحرب ، الى الزواج ، الى زراعة البطاطا وهم يعتقدون « الا نتيجة ترجى في اي ميدان من ميادين الحياة من غير سحر »[١٣] ، ولذلك فهم يحمون اشجارهم بالعزائم ، وتهب الرياح بها كذلك ، ولا يحدث المطر او ياتي الموت الا بالسحر ايضاً ، فالسحر هنا هو القدر وهو القوة الخارجية التي تحكم حركة الاشياء برغم ارتباطها بانسان اخر يملكها ويسيطر عليها . وللرقية السحرية ـ هنا ـ قيمتها الكبرى ويستطيع الفرد أن يطلبها من خاله (الذي يملكها دون غيره من الاخوال) ويكون عادة الابن الاكبر ، ولكن يستطيع المرء أن يشتري رقية سحرية لشيء بالعمل الشاق لغيره ، ومع ذلك فهناك أحجبة وتعاويذ يستطيع الانسان الحصول عليها للضرورة في حالة المرض ، ويستطيع ساحر الدوبو ان يوظف قدراته لسحر اشجار وطعام اعدائه ، ويستطيع كل انسان من الدوبو ان يوظف التعاويذ المضادة لدفع الاذى (السحري) عنه وعن اشجاره وطعامه ، وهناك علامات طريفة لمعرفة وصول اثر السحر المعادي ، فاذا وجد الدوبو سعف شجرة جوز الهند مربوطاً حول اشجار القرية ادرك ان لعنة سحرية قد اصابت قريته ، عندئذ يفر الناس جميعاً منها ، حتى يستطيع الساحر تنفيذ الرقية المضادة .

إن الحدود بين النظامين الحياتي والسحري في المجتمعات البدائية حدود متشابكة متداخلة لا متجاورة او متوازية ، فما يعد سحراً خارجاً عن المالوف لدينا هو مجرد جزء من النظام الكوني الذي يحكم البشر في تلك المجتمعات ، والساحر جزء من هذه المجتمعات وله دوره المهم وتاثيره الحيوي عليها بوصف السحر جزءاً من النظام الديني ـ الاجتماعي ، لكن السحر عموماً يتجه الى العمل عموماً ضد العدوان الخارجي ، العدوان المعادي لعموم القرية كما رأينا عند الدوبو ، والعدوان المعادي للاسرة او للفرد في مجتمعات اخرى .

يقول د . محي الدين صابر في دراسته عن مجتمع الازاندي[١٤] « ان السحر اساساً يتجه الى الجماعات الخارجية والدين الى الجماعات الداخلية » ومنطقة قبائل الازاندي (الزاندي) أو نيام نيام اي القبائل الاكلة للحوم البشر كما دعيت في الغرب تقع في نقطة تلاقي ثلاث دول في وسط افريقيا هي السودان وزائير وافريقيا الوسطى ، وهم يعيشون في السودان في مركز يامبيو ، وهو احد أقسام المديرية الاستوائية وتعد مدينة انزارا المركز الاقتصادي لهذه المجموعة التي يسعى السودان الى توطينها وتثقيفها وتطوير اقتصادياتها .

إن السحر أو العين الشريرة (مانقو) لدى الازاندي قوة عدوانية تهدد أمن الناس

وحياتهم كما يحلل صابر ، وهم بذلك يشابهون الدوبو ـ في هذا المعتقد وليس في السلوك ـ في فهم السحر وفي الوقوف ضد تاثيراته بانواع سحرية وتعاويذ اخرى .

ومصادر السحر لدى الازاندي تدعى كالاتي :

١ ـ لدى الانسان : المانتو

٢ ـ لدى الحيوان : الادندالا

٣ ـ لدى النبات : انقوا

ولكل مصدر سحري وظيفة ، فوظيفة المصدرين الانساني والحيواني عدوانية ، ووظيفة المصدر النباتي قد تكون عداوانية او وقائية ، بحسب متطلبات الساحر ، والسحرة في مجتمع الزاندي طبقات هي :

١ ـ المانتو : وهؤلاء يتمتعون بقدرات سحرية يستعينون عليها بالرقصات والكلام الحر مما يطوع عملية اللقانة واكتشاف الغيب ـ في عرفهم ـ وهم الاطباء السحرة .

٢ ـ اصحاب الترياق أو Aria Avule وهم مالكو الاعشاب السحرية وهم « يكتسبون المعرفة بالعقاقير السحرية ويتعلمونها لقاء مال يدفعونه ، او يتعلمون عن طريق الانضمام الى احدى الجمعيات السرية التي تمارس السحر »[١٥]

٣ ـ طبقة العرافين : وهم الذين يعرفون اسرار نبات البنقي وطريقة استخلاص السم المؤثر فيه (الترياق) .

ويعتقد الزاندي أن افراد المجتمع السحري ، على ما بينهم من عداء ، يشكلون مجتمعاً واحداً ، فاهل المانتو الاشرار يعرفون الاطباء السحرة واهل الترياق ولهم تقاليدهم الخاصة .

ويقدم د . محي الدين صابر تفسيراً لنمو الاهتمام بالسحر لدى الازاندي وقوة سطوته باعتبار ان السحر لديهم فطري وهو عدواني اساساً ، اما السحر العلاجي او الابيض فقد جاء تابعاً لوجود السحر الاسود[١٦] ، فيما يقوم رأي الباحث ايفانز برتشارد ، على أن المثلث السحري لدى الازاندي يقوم على ثلاثة اضلاع هي المانتو واللقانة والسحر ، ويصنف تحت ضلع السحر اصحاب الترياق ومالكي سر الاعشاب السحرية والسحر الابيض .

ويقسم تايلر النظرية الارواحية التي تعتمد عليها المجتمعات القبلية البدائية بالقول انها تتالف من شطرين :

١ ـ الاعتقاد بارواح الكائنات الحية الفردية المحددة التي تتسم بالقدرة على الاحتفاظ بوجودها الحيوي المستمر بعد الموت وفناء الجسد

٢ ـ الاعتقاد بالارواح الاخرى التي تتدرج في قوتها حتى تصل الى ارواح القوى الغيبية فوق الطبيعية .

وترى هذه الجماعات البدائية ان القوى الروحية على اختلاف انواعها تتحكم في مسيرة العالم وحياة الانسان وفي حياة ما بعد الموت ولذلك فهم يستعينون لارضائها بالسحر والكهانة ، وعلى ذلك فقد اعتقد هولاء ان للكائن الحي شيئين ، حياة وشبح ، وهذان العنصران يرتبطان بالجسد ، والحياة في اعتقادهم تمكن البشر من التفكير والعمل اما الشبح فهو « صوت او نفس ثانية للانسان »[١٨]

ويرتبط العنصران بالجسد باعتبارهما تابعين له .

ويرى البدائيون ان للحيوان والنبات ارواحاً ايضاً ، بل ان جماعة قبلية سو الامريكية الهندية تعتقد ان البشر يمتلكون اربعة ارواح ، وان الدببة تشاركهم في هذا ، فيما يجد الداياك في بورنيو ان لنبات الرز روحاً خاصة ويجرون طقوساً معينة عند قطعها لتجنب غضبها[19] .

ومن المهم هنا ان نشير الى نظرية فرويد عن الفكر الروحي ، حيث ان النظم الروحية لديه تعد ادوات حضارية مركزية تسهم في تبديد مخاوف الانسان من تهديدات الطبيعة ومن تكيفه لحقيقة مابعد الموت .

اما يونغ فقد قال باهمية الدين في تكوين الفكر الانساني فيما يرى فروم ان العقيدة الدينية تعني نظاماً فكرياً وسلوكياً يمنح الفرد اطاراً ايديولوجياً وعنصراً للتقديس فيما يفسر ماليفسكي المعتقد الروحي تفسيراً وظيفياً ، اذ يرى ان السحر كان بديلًا او سداً لفراغ الاديان في المجتمعات البدائية ، وأن الاجتماعات السحرية أو الروحية العامة تعد سبباً من اسباب التعاون الاجتماعي مثلها في ذلك مثل حفلات الصيد والحصاد .

ويشير د . تقي الدباغ الى موضوعة السحر لدى الاقوام المتمدينة الاولى كالبابليين والفراعنة وغيرهما ، وهو يدرس السحر على أنه مزاولة يومية ضرورية لدفع الشر وجلب الخير وعلى ذلك فقد منعت قوانين حمورابي السحر الاسود وعاقبت من يمارسه .

ويشير د . الدباغ الى أن الكاهن كان رجل دين وساحراً معاً ، ولكن ذلك كان خاصاً بصنف الايشبوم من الكهنة[20] فهم الذين يقومون بالتعازيم وطرد الارواح الشريرة والعمل على شفاء المريض بالادعية والنذور « وللكهانة علاقة وثيقة بالعرافة فهناك صنف من الكهنة يقوم بالتنبؤ لمعرفة ماسيحدث في المستقبل »[21] ، وكان العراف مرتبطاً بالملك الذي يستشيره في شؤون السلم والحرب ، ويضيف العرافون الى نوعين (في بابل القديمة)[22] استناداً للطريقة التي تنجز بها المهمة ، صنف يهتم بالاشياء التي يعتمد الانسان احداثها للاتصال بالقوى الخارقة وصنف يحاول فهم مغازي عمل الالهة او الطبيعة ، ومن انواع العرافة العرافة المقصودة ومنها :

١ ـ فحص الكبد حيث اعتقد البابليون ان الاله شمش هو الذي يسيطر على كبد الذبيحة ، وأن لكل لون او تشقق فيها فالا(اشارة) معيناً ، وقد نظم البابليون قوائم خاصة بذلك ، وانتشر هذا النوع من العرافة في الشعوب الحثية والكلتية وفي بلاد اليونان والرومان

٢ ـ سكب الزيت في الماء حيث يرقب العراف حركة الزيت وسط الماء فاذا تكونت حلقة زيتية واتجهت الى الشرق كان الفال حسناً ، واذا اتجهت الى الغرب او تكسرت كان سيئاً

٣ ـ ضرب القداح وهي سهام صغيرة محززة استخدمها عرب ما قبل الاسلام بعد هذا لتمييز الفال الحسن من السيء

النوع الثاني من العرافة هي العرافة غير المقصودة ، اي المبنية على حوادث وظواهر : دخل للعراف فيها مثل التنجيم حيث عرف البابليون منازل القمر ووضعوا صيغاً لطالع الانسان على اساسها ، وكان العرافون البابليون يتطيرون من خسوف القمر وكسوف الشمس ، ومن رؤية القمر والشمس معاً بين اليومين ١٢ ـ ٢٢ من الشهر القمري حيث يخشون كثرة اللصوص او زوال الملك

٢ـ الاعداد قدس البابليون اعداداً معينة مثل رقم (٦٠) وتفاءلوا بها فيما كانوا يتطيرون بالرقم (١٣)
٣ ـ الاحلام ولها تفسيراتها المتعددة وتحليلاتها كل حلم على حدة
٤ ـ زجر الطير وكان زاجر الطير موظفاً مهماً في البلاط الاشوري حيث يؤدي يمين الولاء قبل بدء عمله ، وخلاصة الزجر انه اذا طار طير ومر من يمين الملك الى يساره (وقد عزم الملك على حرب او سفر) فالملك ينتصر او تكون رحلته سعيدة وهناك حركات تفصيلية لهذا النوع من مراقبة الطير وحركتها في الفضاء وسلبيات اشاراتها وايجابياتها .

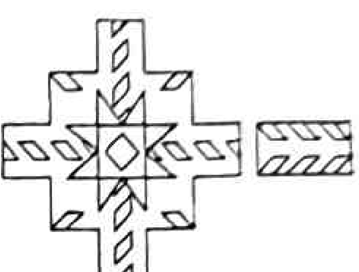
وللسحر ـ كما هو معروف ـ رقاه وتعاويذه المتعددة في كل شعب من الشعوب على مر التاريخ ، وله طقوسه الخاصة التي ترتبط بالايمان به ، حيث هناك الزار وترديداته ودفوفه في مصر وبلاد الجزيرة العربية والحبشة وهناك طبل الشامان في بلاد الاسكيمو حيث تنتاب هذا الساحر تشنجات خاصة وهو يخاطب الروح وهناك طقوس النافاهو السحرية الخاصة وهم يستنزلون المطر ويحاولون شفاء مريض

واذا كان ما عرض هنا بعض تفاصيل السحر قديماً وفي المجتمعات البدائية فان للسحر ، والتفرعات الناتجة عنه كالفال والطيرة ، تاثيراً كبيراً في المجتمعات العصرية فمازال للعرافين مكاتب خاصة في اوربا ومازال لضاربة الودع في شوارع المدن العربية التقليدية شانها الخاص ، ومازال للزار والخرافات التي تحيط به مكانتها برغم ادانة رجال الدين والطبقات المثقفة له ، كما ان قراءة الفنجان والكف تجد لها مكاناً في بيوت الطبقات الفقيرة وعالية المستوى على حد سواء كنوع من العرافة التي يمارسها بعضهم هواية ويمارسها اخرون عملاً يدر دخلاً معقولاً .

واذ يظل للسحر ورقاه وتعاويذه والمعتقدات التي نشات عنه تاثيرها على الكثير من افراد المجتمع حديثاً كنوع من انواع الحماية من ايقاع العصر وشدة ضغوطه وكجزء من تطلع الانسان لمعرفة المجهول تظل البرهنة على شعوذة السحرة العصريين وايقاعهم بمن يضحون اسرى دعاواهم امراً مستمراً ، ولكنه لا يبعد الناس عن درب السحر ولا عن خضوعهم له برغم وجود كتل بشرية اخرى تقف منه موقف العداء والفضح والادانة . إن ذلك يجعلنا نؤكد ان الكثير من تجارب عالم اليوم الحياتية قد اوقعت البشر في ازمات لم يستطع تجنبها لانحراف في ثقافته العلمية او لقلة التبصر في شؤون الدين ، ولذلك لجأ الى السحر والسحرة كعنصر اطمئنان اخر يحاول بواسطته ايجاد حلول سريعة لمشاكله المعقدة والمستمرة ، ومن هنا وجد السحر منفذاً لانه يسد بعض نواقص الانسان الحديث نفسياً وروحياً برغم كل سلبياته المتراكمة عبر تاريخه كنشاط انساني يستغل حاجة الانسان الى القوى التي تقع خارجه ليلوذ بها دفعاً لايذاء قوى اخرى طبيعية او اجتماعية او قدرية او مجهولة او بحثاً عن وسيلة لرد عدوان ، وسيظل الجدل حول السحر قائماً ويظل العمل السحري نشطاً معه مادام هناك نقاط ضعف لدى الانسان علمياً ودينياً .

هوامش

١) د . قيس النوري ـ الاساطير وعلم الاجناس ـ مطابع دار الكتب ـ الموصل ١٩٨١ ـ ص ١١٢
٢) طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ حضارة وادي الرافدين ـ ج ١ ـ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ـ ط ٢ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٩٢
٣) المصدر السابق ـ ص ٢١٧
٤) فوزي العنتيل ـ بين الفولكلور والثقافة الشعبية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٦٩
٥) المصدر السابق ص ١٧٠
٦) د . النوري ـ م . س ـ ص ١٥٥
٧ ـ ٨) د . النوري ـ م . س ص ١٥٥
٩) روث بندت ـ الوان من ثقافات الشعوب ـ ترجمة عمر الدسوقي واخرين ـ طبع لجنة البيان العربي ـ القاهرة ـ د . ت ـ ص ٨٨
١٠) بندت ـ م . س ـ ص ١٢١
١١) بندت ـ م . س ـ ص ١٥١
١٢) بندت ـ م . س ـ ص ١٦٢
١٣) بندت ـ م . س ـ ص ١٧٣
١٤) د . محي الدين صابر ـ التغير الحضاري في مجتمع افريقي . مط المكتبة العصرية . صيدا ـ بيروت ـ ١٩٨٧ ـ ص ٢٣٥
١٥) د . صابر ـ م . س ـ ص ٢٣٧٨
١٦) د . صابر ـ م . س ـ ص ٢٣٩
١٧) د . النوري ـ م . س ـ ص ١٨٦ / ١٨٧
١٨) د . النوري ـ م . س ـ ص ١٨٨
١٩) د . النوري ـ م . س ـ ص ١٩٠
٢٠) د . تقي الدباغ ـ الفكر الديني القديم ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ ١٩٩٢ ـ ص ٣٥
٢١) د . الدباغ ـ م . س ـ ص ٣٦
٢٢) طه باقر ـ م . س ـ طبعة سنة ١٩٥٥ ـ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٦



ماجد كاظم علي

المضيف في ذي قار

المضيف ماخوذ من اسم الضيف ... وهو مكان لنزول الضيوف ... ويعتبر المضيف ايضاً مكانا ومحراباً للعبادة وكذلك منتدى يتجمع فيه ابناء العشيرة لتبادل الاراء والاحاديث والمناقشة في الامور العامة التي تخص العشيرة او الامور الخاصة المختلفة .

وللمضيف عادات يلتزم بها الجميع التزاماً كبيراً ... ومن عادات وتقاليد المضيف في ذي قار ما ياتي :

١ / قبل ان يدخل اي فرد الى المضيف عليه ان يخلع ما يلبس برجليه وذلك تقديراً و اكراماً لصاحب المضيف الذي قد يكون احد افراد العشيرة ... او شيخ العشيرة .

٢ / بعد ان يقدم رجله اليمنى في الدخول عليه ان يلقي التحية بقوله السلام عليكم ... فيرد عليه الباقون السلام وما ان يجلس في المكان المخصص له والذي يكون حسب اهمية الشخص يبدأ الحاضرون بتمسيته اذا كان الوقت مساءً بقولهم (مساكم الله بالخير) فيرد (الله بالخير) او يصبحوه بقولهم (صبحكم الله بالخير) فيرد (الله بالخير) .

٣ / يكون الجلوس في المضيف على الحصران المصنوعة من القصب والتي تسمى شعبياً (بارية) وجمعها (بواري) او المصنوعة من سعف النخيل ... او السجاجيد الموضوعة فوقها او على الارض .

٤ / يوضع في وسط المضيف مجموعة من الطابوق او بناء جدران صغيرة من الطين على شكل مربع توضع فيها النار ودلال القهوة ... ويسمى المكان (الوجاغ) وكلما كبر المضيف كبر (الوجاغ) والعكس صحيح .

٥ / يجلس الشيخ او كبير القوم او صاحب المضيف على (الشبه) الثانية القريبة من الباب .

٦ / يوضع في باب المضيف اناء اسطواني وله يد يصل طولها الى ٣٠ سم من الحديد يسمى (الهاون) ويكبر حجمه مع حجم المضيف وتكون بجانبه ادوات القهوة ... ويضرب (بالهاون) ضربات خاصة وعالية لكي يعلم الناس ان القهوة اليوم عند صاحب المضيف .

٧ / يوضع مع الدلال ومفردها دله (الگمگم) وهو اكبر الدلال ويكون مكانه في نهاية الدلال ... البعيدة عن مكان جلسة صاحب المضيف .

٨ / يوضع في باب المضيف من الداخل اناء كبير من الفخار يسمى (الحب) فوق منضدة مفتوحة من وسطها من الخشب وفي داخل (الحب) اناء صغير يكون على انواع يشرب به الماء يسمى (الكشكول) ويفضل ان يكون من الخشب او سعف النخيل المقير او قشرة ثمرة جوز الهند ...

٩ / يعلق في باب المضيف العلم الخاص بالعشيرة اذا كان المضيف ... مضيف الشيخ ويسمى (البيرغ) ولكل عشيرة (بيرغ) خاص بها تحمله في المناسبات المختلفة .

١٠ / تكون امام المضيف مساحة من الارض منبسطة تفرش بالحصران وترش بالماء حتى

تبرد صيفا تسمى (المشول) وتستعمل للجلوس في اماسي وليالي الصيف ... او صباح ايام الشتاء للتشمس .

١١ / يكون باب المضيف على شكل مثلث اقل من قامة الشخص الاعتيادي ...

١٢ / كل (شبه) وهي رزمة من القصب تبعد عن الاخرى بمسافة معينة تسمى (العمرة) .

١٣ / لا يجوز غلق باب المضيف اطلاقاً فهو مفتوح في كل ايام السنة ليلًا ونهاراً ...

١٤ / يجلس ساقي القهوة قرب (الوجاغ) .

١٥ / اول من يشرب القهوة هو الشيخ ... والذي يفرغ من شرب القهوة بالفنجان يهز الفنجان دلالة الاكتفاء .

١٦ / يستلم الفنجان من الساقي باليد اليمنى ولا يجوز حمله باليد اليسرى ... ابداً الا اذا كان الشارب معوقاً ..

١٧ / يحمل الساقي الدله باليد اليسرى والفنجان باليد اليمنى ولا يجوز العكس مطلقاً .

١٨ / عند بناء المضيف تشارك العشيرة باجمعها في بنائه مع من جلبوا للبناء .

١٩ / لا يجوز بناء المضيف من الشرق الى الغرب او العكس وانما يكون امتداده من الجنوب الى الشمال ...

٢٠ / يكون باب المضيف الى القبلة ومن واجهته الطولية ولا يجوز ان يكون الباب في واجهته العرضية (اي ان يكون الباب في الجانب القصير المواجه للقبله) .

٢١ / اثناء حل الخلافات بالمضيف ... حسب قسمة العشيرة ... فالعشيرة تقسم الى افخاذ وحمائل ولكل فخذ وحمل رئيس خاص به يراجع الشيخ في مشاكله ويسمى شيخ العشيرة هنا (بالشيخ العموم)

٢٢ / في الولائم يصح ان يدعو كل فرد من العشيرة باقي افرادها في مضيفه الخاص به ... وعندما تمد (السفره) يجلب الاكل ويوضع فوقها .. وبعد اكمال وضعه يمرر اناء من الماء على الجميع ابتداءً من الشيخ ليغسلوا ايديهم فيه ... ثم ينهض الشيخ اولًا ثم ي كبار العشيرة كوجبه اولى اذا كانت العشيرة او المدعوون كثيرون ... ولا يجوز ان يقوم من يشبع عن السفره حتى يفرغ معظم الباقين من الاكل .

٢٣ / تعطى للشيخ قطعة من اللحم خاصة به وهي نصف رأس الشاة المذبوحة وتسمى (ام اذن) .

٢٤ / وفي حالة الخلافات او القتل تفض المنازعات بعد ان يجتمع الفرقاء واحيانا يطلبون للتحكيم شخصاً من خارج العشيرة او العشيرتين المتنازعتين يسمى (الفريضة) ويكون من الذين يمتلكون الحكمة والمعرفة والاحترام بين الجميع .

٢٥ / تعلق (سفر الاكل) (السماط) امام ابواب المضايف وكلما كبرت (السفرة) ...

كبرت سمعة اصحاب المضيف ودلالة على الكرم والجود .

« طريقة بناء المضيف »

يبنى المضيف من القصب والبردي والحصران (البواري) ويتكون من اركان اساسية هي (الشباب ـ الهطر ـ الحزم ـ البواري ـ الكواسر) وجميعها تصنع من القصب ما عدا الحزام فهو يصنع من البردي .

١ / الشباب وكيفية بنائها : تحفر في الارض حفرتان متقابلتان حسب العرض الذي يريده صاحب المضيف وتوضع فيها مجموعة من القصب حتى تمتلىء كل حفرة ... ثم ياخذ اطراف ذلك القصب من الاعلى من كل شبه وتربط مع الشبه المقابلة لها على شكل قوس ويكون ارتباط كل شبتين متوازياً مع ارتباط الشبتين الاوليتين ...

٢ / الحزام : وهو من البردي ويربط به القصب الذي تعمل منه شباب المضيف حتى لا تتفرق وتتماسك .

٣ / الهطر : وهي مجموعة من القصب ولا يتعدى عدد القصب في الهطار الواحد (١٢ قصبه) ويشد الهطار الواحد مع بعضه بحيث يدور حول المضيف وتربط به الشباب ربطاً افقياً ... ويكون الهطار مربوطاً بالبردي (الحزام) ويكون عدد الهطر في المضيف ٤٠ الى ٥٠ هطار .

٤ / الحصران (البواري) وتصنع من القصب وتكون بعرض ١٢٠سم الى ١٥٠سم وبطول ٢٥٠سم الى ٣٠٠سم وتوضع فوق الهطر وتشد عليه بواسطة البردي لكي لا ياخذها الهواء وقت الرياح الشديدة وتحمي المضيف من المطر والشمس ... وتوضع في المضيف فتحات هوائية من القصب المحزوم المشبك بعضه مع البعض الاخر .

وبصورة عامة فقد تطورت عملية بناء المضايف تطوراً كبيراً واصبحت اكثر تناسقاً وجمالًا وقوة من السابق وأقل مادة .

هاري ساكز
H . W . F . Saggs
ترجمة : كاظم سعد الدين

الحرف والصناعات في العراق القديم



[الدكتور هاري ساكز ، استاذ اللغات السامية في كارديف وعضو ملاك مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، جامعة لندن كان عضواً في البعثة التنقيبية في العراق التي اشتغلت في النمرود وتل الرماح ، واشتغل استاذاً في قسم الآثار بكلية الاداب جامعة بغداد ، سنتين . كتابه الحياة اليومية في بابل واشور ١٩٦٥ « يتكون من تسعة فصول تناول فيها تاريخ الحضارة في العراق القديم والكتابة وادارة الدولة والصناعات والحرف القديمة والقوانين وبابل في ايام نبوخذ نصر والدين . وله فضلاً عن هذا الكتاب ، كتاب « عظمة بابل » ١٩٦٢ الذي ترجمه د . عامر سليمان من جامعة الموصل ١٩٧٩ .

في القرن الثالث قبل الميلاد حين بلغت الحضارة البابلية نهايتها الا من بعض الكهنة والفلكيين ، كتب « برعوشا » احد الكهنة البابليين تقريراً عن تقاليد شعبه . لم يكتب هذا التقرير بالسومرية او الاكدية بل بالاغريقية ، وقد تضمن وصفاً لاصل الحضارة المزعوم : كتب برعوشا :

« في السنة الاولى من (الدنيا) ظهر من الخليج كائن اسمه « اونّيس » جسمه كله جسم سمكة .. وله تحت راس السمكة رأس آخر ، ويتصل بذنب السمكة قدمان مثل قدمي الانسان ... اعتاد هذا الكائن انْ يمضي نهاره بين الناس ويقدم لهم معرفة من وثائق مدونة وجميع انواع المعرفة والحرف . علمهم تشييد المدن وتأسيس المعابد وسنّ القوانين ومسح

الاراضي ، وجعلهم يعرفون استعمال البذور وجني الثمار ، وارشدهم في كل شيء ضروري للحياة اليومية . ولم يكتشف منذ ذلك الحين اي شيء آخر . »

كانت قبل ذلك بالفي سنة اسطورة سومرية شائعة تصف كيف ان انكي إله الماء ، وهو إله الحكمة ايضاً ، خلق الدنيا ووهبها اشياء كالري وصيد السمك والحراثة والزراعة ، واستعمال الحبوب ، وصنع الطابوق وعمل المعادن ومهن النساء كالغزل والنسيج .

وعلى الرغم من الفجوة البالغة الغي عام فان الفكرة الاساسية هي نفسها . وقد لوحظ ان الحضارة تأسست بالدرجة الاولى على تطورات مبكرة معينة في سيطرة الانسان على بيئته وعلى المواد المتيسرة ، ذات طبيعة اساسية بحيث حسبوها إلهاماً إلهياً ، وزيادة في الايضاح نقول ان البابليين ، من البداية الى النهاية ، كانوا يعدون ، حقاً او باطلًا ، ان العنصر الاساسي في الحضارة لم يكن قيماً روحية وانما كان يتضمن مقداراً معتدلًا مما يمكن ان ندعوه اليوم التكنولوجيا .

نلاحظ ان برعوشا ، في نظره الى الخلف من حقبة كان للحضارة البابلية ماضٍ فقط وليس لها مستقبل ، قد اعتقد انه منذ الالهام الاول من « اونيس » لم يكتشف اي شيء آخر . كان اسلافه قبل الفي عام افضل منه معرفة .

يبدو ان الاسطورة الاقدم التي تخص انكي ونظام العالم تصف حال الانجازات البشرية في زمن ظهور السومريين في العراق . لم يظهر السومريون فجأة بطبيعة الحال ، وخلقوا حضارة من لا شيء

كانت كثير من الخطوات المبكرة في الشرق الادنى نوعاً اساسياً لحضارتنا كما كان لطريقة حياة السومريين . فقد دجنت هناك حيوانات طعامنا الرئيسية ، الاغنام والابقار ، وزرعت الحنطة والشعير اول مرة في المنطقة نفسها . ان الري على نطاق واسع واستعمال المحراث الذي تجره الابقار بدأ اول مرة ، في مكان ما من الشرق الادنى ولعله في العراق نفسه ، ولم يكن اصل الفخار وتكنولوجيا (صناعات) المعادن بعيداً عن العراق . وقد كان الغزل والنسيج ، المعروفان بنحو واسع في ما قبل التاريخ ، حرفتين تمارسان في العراق قبل السومريين . وعلى الرغم من ان هذه التطورات كانت معروفة قبل السومريين ، فان السومريين كانوا اول شعب له اطلاع عليها جميعاً في وقت واحد . ان الحياة بعد ذلك لا يمكن تصورها بدون هذه الأسس المادية . ان هذه المنجزات جميعاً ، الموجودة قبل ظهور السومريين في العراق التي اعتقدوا انها اساس نظام العالم قد انشأها انكي .

على ان السومريين الاوائل لم يسلموا بنظام العالم تسليماً سلبياً على انه ثابت ، غير قابل للتغيير في تفاصيله فاضافوا مخترعاتهم ومكتشفاتهم الى تراث ما قبل التاريخ الذي وصل اليهم . كان علينا استنتاج بعض تلك الخطوات التكنولوجية المتقدمة من المصادر الآثارية ، على الرغم من ان واحدة او اثنتين منها نجدها مذكورة في الاساطير السومرية . فهناك ، مثلًا ، اسطورة تشير الى بداية بستنة اشجار الظل ، اي زراعة اشجار لاعطاء شيء من الحماية الى الخضراوات من حرارة الشمس المحرقة ولتقليل تعرية التربة .

الزراعة :

أننا نعرف شيئاً من تفصيلات الزراعة السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد من احد

النصوص السومرية . يقدم النص إرشادات في شكل نصائح من أب الى ابنه :

حين يبدأ المرء العمل في حقله ، عليه اولاً ان يرويه ولكنه يجب ان يتأكد ان الماء ينبغي الا يرتفع عالياً جداً . وبعد ان يغور الماء ، تساق ثيران ، تلبس نوعاً من الاحذية ، فوق الحقل لتدوس الادغال وهي تخوض في الاوحال فتترك وجه الارض وعراً جداً ، لذلك فانه يحتاج الى ان يقدم الرجال بالعمل عليه وتسويته بالمعاول ، وبعد ذلك بمجرفة ، لعلها نوع من المسلفة (لتعديل التربة) .

وينبغي بعد ذلك **حراثة الحقل** بنوعين مختلفين من المحاريث ، ثم يعدل و« يخرمش » . واذا بقيت بعض الكتل فانها تفتت بالمطارق . ويحتاج ذلك الى قوة عملية اساسية وجهد متواصل ، وينصح الفلاح ، في هذا النص ، ان يراقب باستمرار عماله يستغرق هذا الجزء من العملية عشرة أيام ، يستمر فجراً في ضوء النجوم وفي أثناء النهار .

ويصبح الحقل الآن مهيأ **للبذار** . ويتم ذلك بمحراث ذي باذرة ، وهي اداة ذات قمع عمودي فوق شفرة المحراث ، مرتب بطريقة يمكن للبذور ان تسقط مباشرة في اسفل الاخدود .

وكان رجل يحمل كيساً من الشعير ويمشي الى جانب المحراث ويلقي البذور بنسبة منتظمة . ويتأكد من ان البذور نزلت الى عمق عقدة ونصف تقريباً . واذا ما تم البذار فان الحقل تعاد تسويته وتفتت الكتل المتبقية (صورة ٣٧) .

وحالما يبدأ الشعير يخرج شطؤه ، يجب على الفلاح الصلاة **الى إلاهة الحشرات والطيور** ، ويتولى هو افزاع الطيور . ومن اسوأ مشكلات الفلاح القديم المحتملة في هذه المرحلة هي اسراب الجراد ، ولو ان النص يـذكر ذلـك ، وحين ينمـو المحصول يجب

ارواؤه ثـلاث مـرات في مـراحـل تحدد تحديداً دقيقاً بحسب طول الشعير . وتكون الرية الثالثة حين يبلغ الشعير كامل طوله . انه وقت يبعث على القلق فيجب على الفلاح ان يراقب جيداً ظهور اي علامة من علائم الامراض الفطرية التي ندعوها اليوم صدأ الحبوب الذي يتميز باحمرار النبات المصاب . واذا نجح الفلاح في تجاوز هذا الخطر ، فانه يستطيع زيادة المردود النهائي بنسبة عشرة بالمئة .

وثمة ايضاً ارشادات مفصلة بشأن **الحصاد** . ويتم عمل ذلك حالما ينضج الشعير نضجاً كاملاً : ولا يترك حتى يبدأ الحب بالتساقط . يتألف فريق الحصاد من ثلاثة رجال :

الحاصد ، ورجل ثانٍ يشد الحزم ، وثالث يصف الحزم في بيادر . ويسمح للواقيط (الذين يلتقطون) سنابل الشعير الساقطة . ولكن لا يسمح لهم ان يتدخلوا في امور الحزم .

ويلي ذلك **الدراسة والتذرية** في المكان المخصص للدراسة . وتكون الدراسة في مرحلتين ، **كما يرى كريمر** : في الاولى تدوس العربات بيادر الشعير خمسة ايام . وتستخلص الحبوب من السنابل باستعمال مزلجة دراسة خاصة . فيبدو ان المرحلة الاولى من العملية لا حاجة اليها لان النص يعني ان **العربات** المحملة بالشعير كانت تقف جانباً ثم تساق الى البيدر لافراغ حمولاتها في ارض الدراسة حالما يتطلب الامر ذلك .

على اي حال ، من الواضح ان الدراسة الفعلية تتم بمزلجة دراسة تتكون من اطار

خشبي ذي اسنان من حجر او معدن مغروزة في قير في الاسفل وتشد بسيور من جلد . تجر الثيران هذه الالة وتدور بها فوق سنابل الحبوب والسائق جالس على المزلجة لزيادة الضغط . وماتزال الطريقة نفسها تستعمل في بعض الحقول في ايامنا هذهِ [تسمى هذه الالة في العراق الآن الجرجير . م)

التذرية هي العملية الاخيرة ويقوم بها رجلان يوصفان بانهما « رافعا الشعير » . تتم عملية فصل الحبوب برمي خليط الحبوب والتبن والتراب في الهواء في وقت هبوب ريح قوية . فتحمل الريح القش والتراب بعيداً تاركة كومة من حبوب نظيفة .

يشير النص الذي لخص آنفاً الى الشعير بصورة عامة . وقد ذكر ان **الحنطة** كانت معروفة في العراق قبل عهد السومريين ، وانها زرعت بشكل اعتيادي على نطاق محدود خلال تاريخ بلاد مابين النهرين . ولكنها كانت تزرع اقل من الشعير ، ويشير عالم النبات هانس هيلبيك الى ان الشعير كان يزرع في سومر الالف الثالث قبل الميلاد الى حد طغى على الحنطة منذ نحو سنة ٢٧٠٠ ق . م . ولعل ذلك كان نتيجة للري .

وكما يشير هانس هيلبيك ان الري المتكرر يزيد تدريجاً ملوحة التربة ، ولما كانت الحنطة اقل تحملًا للملوحة من الشعير فان الارض تصبح غير صالحة للحنطة أسرع من الشعير . واخيراً يخفق محصول الشعير أيضاً ، ويمكن ان يفسر ذلك سبب توقف السكن في بعض المستوطنات السومرية القديمة .

والمحصول الثالث المهم في العراق القديم هو السمسم ، الذي كان يزرع مصدراً للزيت : اسم هذا النبات في السومرية والاكدية يعني « نبات الزيت » . وكان من بين المنتجات الزراعية الاخرى **التمور والخضراوات** المتنوعة .

وكانت **تربية الحيوانات** ذات اهمية معتبرة في اقتصاد السومريين منذ اقدم العصور . فقد كانت الابقار والماشية الصغيرة (اي الاغنام والماعز) تربى منذ بداية الحقبة التاريخية ولكن الماشية الصغيرة كانت دائماً اكثر عدداً ، وقد عرف كثير من الانواع المحسنة المختلفة منها . لدينا من عهد سلالة اور الثالثة (حوالي ٢١٠٠ ق . م .) سجلات قطعان الاغنام التي تبلغ عشرات الألوف . ولم تكن الاغنام والماعز نافعة لكونها مصدراً للطعام واضاحيٍ للمعابد فقط بل لصوفها وشعرها ايضاً . وكانت طريقة جمع صوف الاغنام بنتفه ، وهي طريقة لم يبطلها جز الصوف كلياً إلا في سنة ١٤٠٠ ق . م .

وقد قدم الاستاذ جيكوبسن من جامعة هارفرد تقريراً ممتعاً عن **صناعة النسيج** قبل سنة ٢٠٠٠ ق . م . ودليله مستقى من سجلات (ارشيف) وجدت في معبد « نانا » في اور . تتناول هذه السجلات الفوائد الاقتصادية للملك لا سيما تلك التي تخص الصوف وصناعة النسيج .

وكان رعاة القطعان الملكية يقدمون مالديهم من اصواف الى المستودع الرئيس حيث توجد مخازن منفصلة للصوف من الاغنام ذات الإلية ومن قطعان انواع اخرى وايضاً شعر الماعز . وكان المخزون يُخرج في نهاية كل سنة الى العراء لجرده ولتهويته ايضاً .

كانت انسجة من الصوف تصنع بين حين وحين . وكان بعضها لاغراض دينية (لمعدات الالهة وغير ذلك) بينما كانت تصنع انسجة للعبيد ، ذكوراً واناثاً ، ولعمال آخرين في خدمة الملك . وقد دل حساب هذه الانسجة ان عدد العبيد في ذلك الوقت العاملين في خدمته بلغ

نحو ٩٠٠٠ .

وكان الصوف يخرج من المخازن لغزله ونسجه في القرى والمدن المحيطة بأور . وكان الغزل والنسيج من مهمات النساء بصورة عامة ، ومايزالان كذلك في وقتنا الحاضر . كان القماش الذي ينتجه النساجون يذهب الى القصّارين الذين كانوا يعاملونه بمحلول قلوي يصنع من رماد نبات خاص .

ثم قد يصبغ الصوف باصباغ متنوعة نباتية الأصل او انه يصبغ بالارجوان الشهير من المحار الذي يجمع على سواحل بلاد الشام اذا كان القماش نفيساً جداً .

كانت نوعية قماش الصوف تتراوح في جودتها بما يلائم الملك الى ما يناسب العبد . وفضلاً عن الصوف ينتج الكتان ايضاً وان كان بنسبة اقل ، وقد ذكر الكتان في الارشيف الذي اشير اليه آنفاً .

الجلود :

هناك مادة اخرى واسعة الاستعمال في العالم القديم كما في العالم الحديث هي الجلود ، وقد ورد ذكر عمال الجلود مراراً . ولا حاجة الى القول ان المصدر الاعتيادي هو جلود الابقار او الثيران وجلود الاغنام والماعز . وكانت جلود الخنازير تستعمل ايضاً . وكانت الجلود تدبغ بنقعها في محلول من الشب ونقيع العفص ، وكان الشب والعفص يستوردان من الشمال وهما مادتان تجاريتان مهمتان في جميع الاوقات .

ومن بين الاشياء التي تستعمل فيها الجلود **الثياب والاحذية والنعال والتروس والخوذ وأعنة الخيل والمقاليع واطارات عجلات العربات واغطية الكراسي والعربات ، والاكياس وانواع مختلفة من الاوعية ، وقِرَب وغيرها لحفظ السوائل ، وجلود للطبول .**

تكنولوجيا المعادن

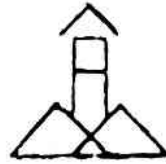
من اهم معالم الصناعة في العراق القديم هي تكنولوجيا المعادن . فخامات النحاس واسعة الانتشار في جبال شمال العراق ، من الاناضول الى بحر قزوين ويشير دليل آثاري انه موجود في المنطقة بعد سنة ٤٠٠٠ ق . م وان تكنولوجيا النحاس الحقيقية قد بدأت آنذاك . نعني « بتكنولوجيا النحاس الحقيقية » اولًا اذابة وصب النحاس الموجود في شكل معدن نقي ثم صهر خامات النحاس . تمتد تفاصيل هذه التطورات الى خارج نطاق البحث من حيث الزمان والمكان . ولكن يمكن ان نذكر ان النظرية القديمة القائلة ان النحاس جرى صهره من خاماته بالمصادفة في نار المخيم يشك في صحتها لان الحرارة اللازمة لا يمكن بلوغها في مثل هذه الحال . اكثر احتمالًا ان تكون عملية صهر النحاس قد اكتشفت اول مرة في افران من النوع المستعمل لصناعة الفخار . في مثل هذه الافران المستعملة في شمال العراق وايران في ٤٠٠٠ ق . م يمكن بلوغ درجة حرارة ١٢٠٠° م وكانت هذه الدرجة كافية لصهر النحاس من خاماته (الذي يتطلب درجة حرارة ٧٠٠° ـ ٨٠٠° م) واذابة المعدن النقي (درجة ذوبانه ١٠٨٥ م) . يوجد النحاس في الغالب طبيعياً ممزوجاً بخاماته التي تكون في شكل احجار زرق ، ويمكن ان يضع خبير بالمعادن كتلة ممزوجة من هذا النوع في فرن لغرض اذابة النحاس من الحجر . فاذا وجد الرجل انه حصل على كمية من النحاس اكبر مما وضع وان اغلب الحجارة قد اختفى فانه سوف يستنتج بشكل صحيح انه استطاع ان

يحصل بـ« الطبخ » على نحاس من ذلك النوع من الحجر الازرق ، وربما تكون هذه هي العملية التي اكتشفت في صهر النحاس .

لا ريب ان صهر النحاس لم ينشأ في العراق ، غير ان استعمال هذا المعدن (بدرجة محدودة جداً في البداية) سرعان ما انتشر في المنطقة . واصبح استعماله شائعاً نسبياً في حوالي سنة ٢٩٠٠ ق . م . لانه صار يستعمل في اشياء كالمزهريات والاواني والمرايا وحقق زينة النساء وصنارات صيد السمك والازاميل والخناجر والمعازق والفؤوس .

بعد ذلك بوقت بدأ الاستعمال العام للبرونز في العراق . البرونز مزيج من النحاس والقصدير ويمتاز بانه اقوى من النحاس واسهل في الصب . ويمكن التوصل الى انتاجه إما بصهر مزيج من خامات النحاس وخامات القصدير واما باذابة نحاس نقي وقصدير نقي معاً . ان التركيب المتغير للبرونز الاول بين ان المزيج كان ينتج من مزيج الخامات ، ثم صار بعد ذلك بمزج نحاس وقصدير نقيين . وقد وجدت عدة اشياء مصنوعة من البرونز امثال المزهريات والسيوف والفؤوس في القبور الملكية في اور التي ترقى الى نحو ٢٦٠٠ ق م . ومن اجمل الامثلة على الصناعة المعدنية القديمة رأس برونز يعتقد انه رأس سرجون الاكدي (٢٣٥٠ ق . م) موجود الآن في المتحف العراقي .

كان النحاس الخام الذي استعمله اهل جنوب العراق يأتي براً من مكان ما في ايران او بحراً بطريق الخليج من بلدين يدعيان « ما كان » و « ملوخا » اللذين لم يعين موقعهما حتى الآن على الرغم من النقاش الطويل . إن تحليل الاشياء النحاسية والبرونزية في هذه الحقبة يبين انه في زمن السومريين كانت الخامات السطحية هي المستعملة وليس الخامات العميقة (التي توجد في شكل كبريتيد) وبهذا فانهم لم يمارسوا التعدين العميق . ولدينا فكرة عن الافران التي كانت الخامات تصهر فيها لان بقايا افران وجدت ، ووجد كذلك صورٌ رمزية كتابية (ايديوگرام) سومرية تعني « فرن » في شكل مبكر جداً يتبين منها صورة فرن :



وكان الوقود المستعمل في مثل هذا الفرن الخشب وحزم القصب . وكان المشتغلون بالمعادن يستعملون المنفاخ لزيادة التيار الهوائي ورفع درجة الحرارة .

وان النحاس المنتج بالصهر يكون غير نقي ويتطلب مزيداً من المعاملة لجعله صالحاً لانتاج البرونز او لصب النحاس النقي . لعل العملية الثانية كانت تتم بنمط من الافران اصغر ومختلف ولكن ليس لدينا دليل مباشر على ذلك . غير انه توجد صور مصرية لعمال معادن يستعملون انبوب نفخ على بوتقة ، ولعل ذلك يمثل التنقية النهائية للنحاس الخام قبل صبه . ويمكن ان يكون التكنيك المستعمل في العراق مشابهاً لذلك .

كانت توجد ثلاث طرق يمكن استعمالها لصب النحاس او البرونز . انها بحسب ترتيب تطورها : طرق القالب المفتوح والقالب المغلق والشمع المفقود . طريقة القالب المفتوح

والقالب المغلق مفهومتان ولكن طريقة الشمع المفقود قد تحتاج الى شرح موجز : انها في الاساس كما ياتي . يصنع اللب ، او الجزء المركزي ، من طين او رمل ، ويغلّف بطبقة من الشمع يصنع وجهها الخارجي بالشكل المطلوب . ثم توضع طبقة من الطين فوق الشمع تاركين ثقوباً في الاعلى والاسفل . وعند الضرورة توضع اسلاك من اللب الداخلي الى الغلاف الطيني الخارجي لتثبيت الطبقات في اماكنها المناسبة . واذا جف الطين فان القالب يطمر في الرمل ويسخن فيسيل الشمع من الاسفل ويصب معدن مصهور في الفراغ الذي تركه الشمع . وحين يبرد فان الغلاف الخارجي من الطين واللب الداخلي يكسر .

كانت **الامور التكنيكية** (الصناعية) الاخرى في صنع المعادن الجارية الاستعمال في النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد تشمل **البرشمة** (التثبيت بمسامير معدنية) **واللحام والطرق والسقي** (التبريد البطيء للتقوية والصلابة) ، **وفي المعادن النفيسة ، التخريم والتحبيب .**

اما **الحديد** فلم يكن مستعملاً باي شكل من الاشكال في العراق (وفي الشرق الادنى) حتى زمن متاخر بعد ذلك على الرغم من وجود عينات قليلة في شكل خرز وتمائم من ٣٠٠٠ ق . م فما بعد . ان اغلب هذه النماذج من الحديد ذات اصل نيزكي على الرغم من وجود نماذج من حديد من صنع الانسان من الالف الثالث قبل الميلاد . ولعل سائل يسأل لماذا لم يستعمل الحديد اذا كان بالامكان صنعه في الالف الثالث قبل الميلاد . في الحقيقة انه لم يكن ثمة دافع لاستعماله إلا للزينة لانه لم يكن اصعب صنعاً فقط من البرونز بل كان اقل قوة ايضاً (في تلك الوسائل الصناعية المتيسرة آنذاك) . ولم يتغير الموقف بشكل ملحوظ الا بعد ٥٠٠ ق . م حين اكتشف ، افتراضاً في المنطقة الحيثية ، ان الحديد يمكن ان يصنع صلباً للغاية بعملية نعرفها باسم عملية الاتحاد بالكاربون كان يمكن أن تتم في ذلك الزمان بابقاء الحديد في نار من الفحم المتوهج مدة طويلة . انتشر هذا التكنيك الجديد تدريجاً في جميع ارجاء الشرق الادني وصار يستعمل في العراق من سنة ١٣٠٠ ق . م .

حرف وصناعات اخرى :

في خلال الـ ٢٥٠٠ سنة من تأريخ العراق القديم وجد عدد كبير من الحرف والصناعات الاخرى . ولا يتسع المجال لشرحها . لم يكن اختيار الحرف والمهن واسعاً امام الرجل فقد كان مبدأ الوراثة قوياً وعليه اتباع خطى ابيه . واننا نجد بين الحرف والمهن التي ذكرت في تاريخ بابل **صناعة الحصران والحياكة والبناء بالحجر وغسل الملابس وصبغها وصياغة الذهب وصيد السمك والملاحة وصناعة الجلود وصناعة الاحذية وصناعة الحلويات والخبز وصناعة الجعة وعصر الزيت وصناعة الطابوق والحدادة والنحاسة والطحن وصيد الطيور والتجارة وحفر الجداول وجز الصوف . وهذا غيض من فيض .**

صناعة السلال مثلاً ترقى الى ازمنة قبل التاريخ وكان صانعها يحوكها من القصب وخوص النخيل ومواد مشابهة . ولعله هو الذي كان يصنع الجزء الخاص من السرير الذي يستلقى عليه البابلي **(صورة ٧٦)** وكان الشخص الذي يصنع الاطار **هو النجار** بطبيعة الحال . وكان النجار يصنع اشياء **كالكراسي والمناضد و ابواب**

الدور والزوارق والعربات ذوات العجلتين والاربع عجلات واقفاص الحيوانات والاجزاء الخشبية من المحاريث والخزانات والصناديق ومجموعة كبيرة من اشياء اخرى . وكانت ادواته الرئيسة هي المطرقة والازميل والمنشار والمثقب (الذي يدار بالقوس) صورة ٧٧ وكان الخشب الجزل (الشديد الصلابة) الذي يحتاج اليه النجار يستحصل بالتجارة او الحملات العسكرية من المناطق الجبلية في ايران ولبنان ، مادام الخشب الوحيد المتيسر في بابل هو جذوع النخل والصفصاف وحور الفرات وهذه لا تصلح الا للاعمال غير المتقنة ولكنها جيدة للوقود ، خشباً او فحماً .

وحرفة اخرى قديمة جداً هي صناعة الفخار ، ولعلنا ندين الى الفخّار باختراع العجلة التي نجدها قد استعملت اول مرة الفخار بعد سنة ٣٥٠٠ ق . م بوقت قصير . الفخّار حرفي تاثرت مكانته سلباً بالتطورات التي حدثت حوالي ٣٠٠٠ ق . م . قبل ذلك التاريخ كانت منتجات الفخّار مزخرفة لطيفة حتى ان النماذج الباقية لها جاذبية جمالية لدى اغلب الناس حتى اليوم ولسوء حظ فن الفخّار في ما يخص التطورات التكنولوجية في حياة السومريين المبكرة ان تكون جميع الاواني الجميلة قد صنعت من المعدن او الحجر فصارت آنية الفخار تعدّ ذات نفع صرف ولم تعد جديرة بالزخرفة الجميلة . ومع ذلك فان اشكال منتجات الفخار البابلي او الاشوري تعد ذات اناقة جديرة بالاعتبار .

النحات :

حرف اخرى تجدر الاشارة اليها اشارة عابرة هي حرفة النحاتين . كان نحاتون ينحتون اعمالاً منحوتة على العاج او الخشب وآخرون يعملون على الحجر . وليس لدينا دليل مباشر على انهما كانا يشكلان مجموعتين منفصلتين . ولكن تكنيكهما كان مختلفاً جداً حتى يمكن استنتاج معقول انهما كانا كذلك . كان عملهما دائماً موجهاً لخدمة المعابد . ويمكن ايضاً ذكر الجوهريين الذين كانوا ينتجون ، بين اشياء اخرى ، الاختام الاسطوانية التي استعملها السومريون والبابليون والاشوريون بنحو واسع .

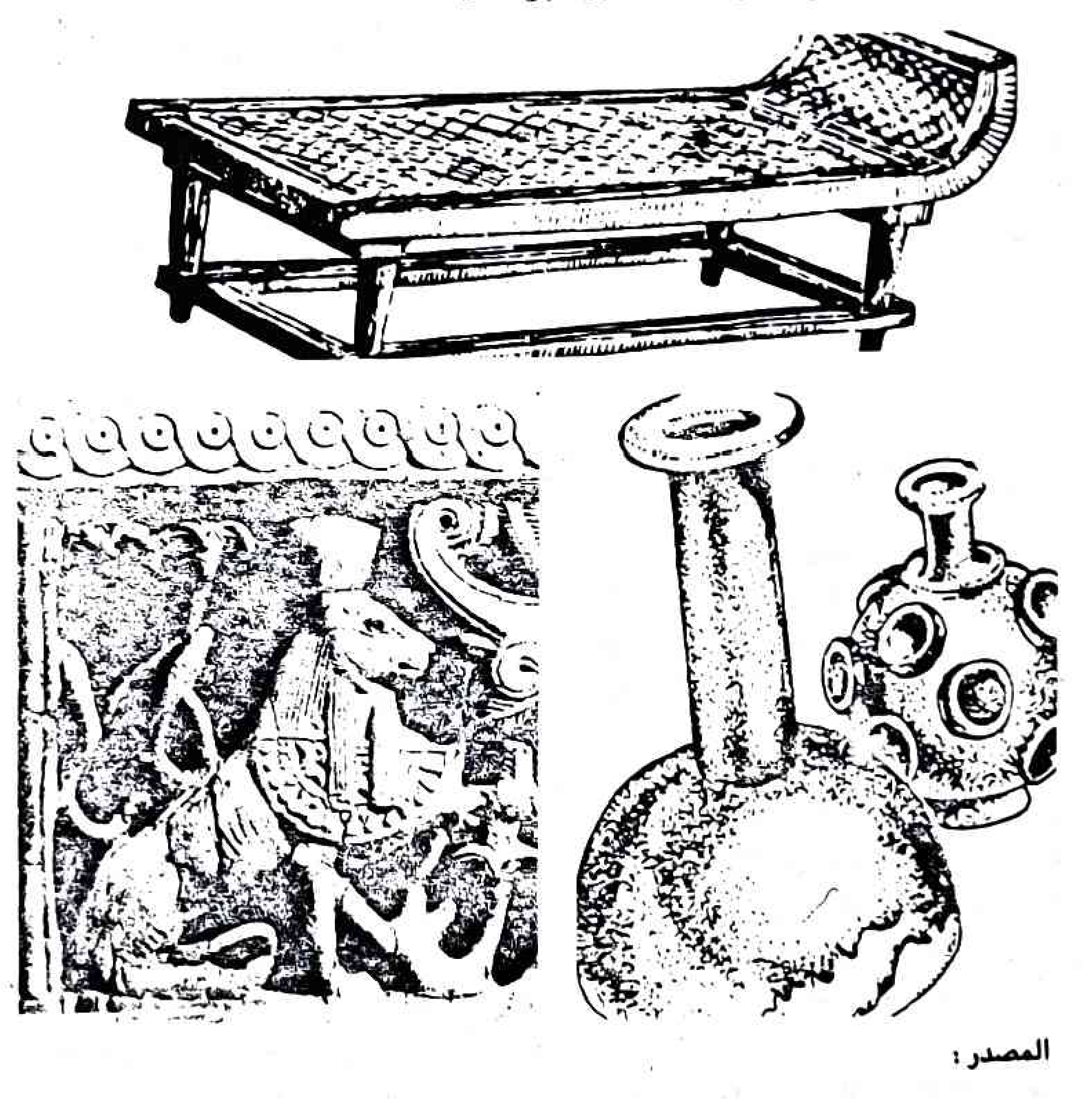
صناعة الزجاج

ان ما ذكر آنفاً من حرف قليل من كثير كان معروفاً قبل ٣٠٠٠ ق . م وصناعة الزجاج حرفة تطورت في العراق بعد بضعة قرون من ظهور السومريين . ولعل بعض الناس الذين يعرفون ان الاشياء المزججة والخرز الزجاجية قد وجدت في مصر ما قبل التاريخ ، لعلهم يميلون الى مناقشة هذا الزعم ، ولكن تجب الاشارة الى انه لم توجد اي اوعية مصنوعة من زجاج في مصر قبل ١٥٠٠ ق . م . وهذا يؤدي بالثقات في هذا الموضوع الى ان يستنتجوا ان المصريين تعلموا حرفة صناعة الزجاج من العراق حيث وجدت قطع من زجاج جيد الصنع في اواسط الالف الثالث قبل الميلاد .

يوجد عدد من النصوص المسمارية من العراق تقدم وصفات لصنع الزجاج او التزجيج ، ويرقى اقدمها الى ١٧٠٠ ق . م . على الرغم من ان المرحلة المتطورة التي تعكسها اقدم

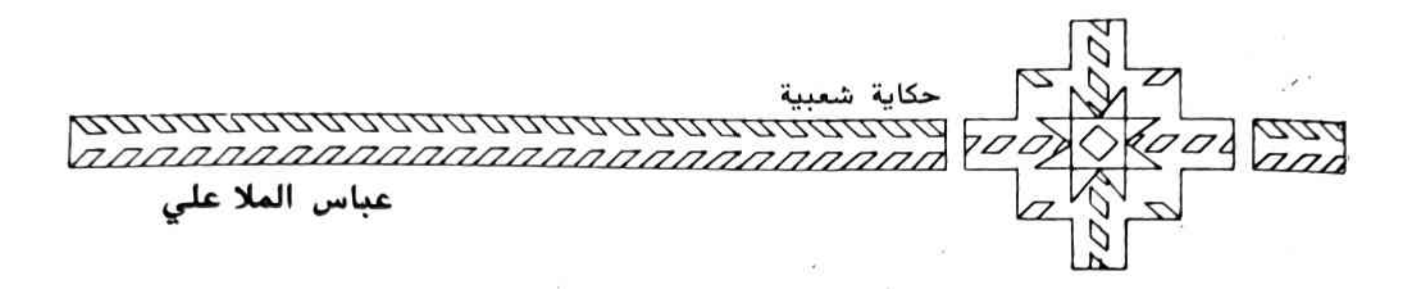
النصوص تكشف تراثاً طويلاً اقدم في صناعة الزجاج . لم تكن صناعة الزجاج شأناً يصيب حيناً ويخطيء حيناً ، وكان صانعو الزجاج العراقيون يعرفون كيف ينتجون انماطاً والواناً مختلفة من منتجاتهم باضافة عناصر متنوعة . وقد نفذ التكنولوجيون الحديثون ارشادات النصوص القديمة ونجحوا في انتاج اوان مزججة .

حالما يتم الحصول على الزجاج فان تكنيك صنع اوان منه هو بتليين قضبان زجاجية بالحرارة ولفها حول لب مركزي في الشكل المناسب . ثم يقوى سطح الوعاء المكتمل بمزيد من المعالجة بالحرارة ، وعندئذ يمكن اضافة اجزاء مطلوبة (صورة ٨٠) . ولم يكن تكنيك نفخ الزجاج قد اخترع حتى القرن الاول قبل الميلاد .



المصدر :

Every day Life in Babylonia and Assyria
by : H . W . F . Saggs



عباس الملا علي

(احمد گويشر وإمرأة أبيه)

(گويشر) : لقبه وهو تصغير : الاگشر . وتنطق كالجيم المصرية ومعناها المشؤوم ... لأنه فقد امه وهو طفل صغير . واضطر ابوه الى الزواج من امرأة اخرى ...

كان ابوه فلاحاً فقيراً يقضي نهاره في الحقل الذي يبعد عن البيت خمسة اميال تقريباً ... وكان احمد كويشر في الثانية عشرة من عمره ليس له عمل سوى اللعب مع اترابه من ابناء القرية وأحياناً يذهب مع أبيه الى الحقل او يجلب له الغداء ..

اشترى له ابوه بمناسبة عيد من الاعياد (نعال) جميل فكان لا يلبسه اعتزازاً به وخوفاً عليه من التلف فوضعه في زاوية من زوايا غرفته الصغيرة وبين فترة اخرى يأخذه وينفخ التراب عنه وينظفه ثم يعيده الى مكانه ..

وفي يوم من الايام كلمته هذه (النعال) قائلة : لاتخف يا أحمد ... أسمع .. ان لإمرأة أبيك خليلًا وهي تخون أباك معه .. ولكن اكتم هذا هذا الامر الى ان اقول لك اظهره ..

كان يلعب مع الصبيان فأدركه الجوع فجاء الى البيت يعدو وقبل ان يدخل سمع امرأة ابيه تتكلم مع رجل .. فنظر من بعض الثقوب فرآها تكلم رجلًا من القرية .. تقول له : (لا تقطع رجلك عني فزوجي طول النهار في الحقل وهذا الولد (أحمد گويشر) مشغول باللعب .. وستجدني قد جهزت لك نفسي وجهزت لك الاكلة الطيبة التي تسرك وتلتذ بها ..

وانتظر احمد كويشر الى ان انصرف الرجل فطلع عليها من الباب الثاني وقال : (انا جائع يا أمي) فاعطته نصف رغيف خبز وقليلًا من التمر فأنصرف يعدو الى زملائه في الملعب ولم يقل شيئاً لأحد ..

كانت زوجة أبيه تتضايق من وجوده وتتمنى لو تتخلص منه ففكرت بطريقة تقتله بها دون ان يتهمها أحد بقتله بل يقال : قضاء وقدر ..

وكان احمد گويشر يحب اللبن كثيراً وكلما رأى امرأة ابيه تخض اللبن يهجم على السقاء

فيفتح فمه ويشرب منه حتى يرتوي .. فرأت ان تسممه عن هذا الطريق .. فعمدت الى فم السقاء وطلته بالسم القاتل .. وجاء كعادته ليشرب اللبن لكنه مر في طريقه على (النعال) ونفخ عنها التراب فقالت له : (يا احمد احذر . ان امرأة ابيك وضعت لك سماً في فم السقاء فلا تشرب منه ولا بأس ان تشرب من اسفله فليس فيه سم ..

فاقبل على امرأة ابيه وطلب منها ان تسمح له بالسقاء ليشرب كعادته ففتحت له فم السقاء وقالت : اشرب .. فأخذ منها السقاء وشد فمه جيداً ثم فتح اسفله وشرب حتى اكتفى ثم انصرف يركض ويقفز .. فتعجبت المرأة كيف غيّر احمد كويشر عادته هذا اليوم بالذات ؟ فهل يا ترى يعلم الغيب ام احد رآني فاخبره صدفة ؟ ! واسفت لضياع جهدها في هذه المحاولة .. فقررت ان تحاول مرة اخرى فعمدت الى ثلاث بيضات وغرزت فيهن السم بالابرة ثم سلقتهن واعدتهن له مع قرص من الخبز وهو يحب البيض فلاشك انه سيلتهمها ويموت من فوره وستقول للناس : (قد يكون البيض فاسداً فسممه) فلا أحد يتهمها او يشك بها ..

وعند الظهيرة جاء أحمد كويشر يطلب غداءه ليعود الى اللعب .. لكنه قبل ذلك مر على (نعاله) ورفعها ونفخها من الغبار . فقالت له : ستقدم لك امرأة ابيك ثلاث بيضات في قرص من الخبز .. فأترك لها البيضات وخذ الخبزة وقليلًا من التمر وقل لها : اني لا اشتهي البيض هذا اليوم .. فأحذر فإنها وضعت لك سماً قاتلًا في هذه البيضات) ..

وجاء الى امرأة ابيه فقدمت له البيضات الثلاث في قرص من الخبز فترك البيض وأخذ قليلًا من التمر مع الخبزة وقال لها : انني لا اشتهي البيض هذا اليوم .. وتركها ذاهلة متعجبة وانصرف الى اترابه يشاركهم اللعب ...

* * *

بقيت تفكر كيف تتخلص من احمد كويشر بدون ان تتهم بجريمة ؟ وحينذاك يخلو لها الجو مع خليلها ولا تخاف من مداهمة احد على حين غرة وهو معها .. فاحمد كويشر كاللولب في الدخول والخروج الى البيت وهي تخشى ان يطلع على علاقتها بالرجل الذي لا تريد ان تفقده ..

فهداها تفكيرها ان تذهب الى جامع القرية تدعو على احمد كويشر بالعمى على الاقل وتنذر للجامع حتى يستجيب لها ..

فجاءت الى الجامع ضحوة يوم من الايام وليس في الجامع آنذاك احد فوقفت في وسطه وقالت : (يابيت الله الكريم) .. واذا بها تسمع صوتاً ينبعث من احد الزوايا ولا ترى شخصاً يقول لها : (نعم . ما تريدين ؟ فأرتجفت اول الامر خائفة ولكنها تشجعت اخيراً واعتقدت ان الجامع كلمها .. فأستطردت تقول : (يابيت الله اريدك تعمي أكويشر او تموته ولك علي نذر صينية اكل من احسن الاكل) .. فرد عليها الصوت قائلًا : (ابشري ستعودين وتجدينه اعمى) ..

كان الصوت الذي سمعته هذه المرأة هو صوت احمد كويشر الذي اخبرته النعال بأن امرأة ابيه ذهبت الى الجامع تدعو عليه فسبقها واخفى نفسه ببعض الفرش وتمدد في زاوية من زوايا الجامع ولما انصرفت زوجة ابيه من الجامع وعادت الى البيت فرحة مسرورة بأن دعوتها استجيبت خرج احمد كويشر راكضاً ووصل قبلها الى البيت وجلس يبكي ..

فدخلت ورأته على هذه الحال فقالت : لماذا تبكي يا احمد ؟ قال لها : (ما اشوف بعد انا عميت خلاص) وقام يتلمس طريقه .. ففرحت فرحاً شديداً وقررت ان تفي نذرها للجامع .. وفي اليوم الثاني صنعت طعاماً نفيساً : (دجاجة مقلية ومحشاة باللوز والكشمش وتمن من اجود العنبر وكاسة لبن رائب وماعون مرق وماعون تمر جيد .. وحملته في صينية غشتها بمنديل كبير وقصدت الجامع ..

فأخبرته النعال بذلك فسبقها واختفى في نفس المكان السابق ودخلت فلم تر أحداً في الجامع فوضعت الصينية وهي تقوا :

- يابيت الله الكريم
- آه ...
- اشكرك لانك عميت احمد كويشر وهذا نذرك يابيت الله ..
- خليه ورروحي وبعد ساعتين تعالي خذي المواعين ..

فتركت الزاد وخرجت .. وخرج احمد كويشر ونظر الى الشارع فرأى فقيراً يجر خطاه .. فسأله : هل انت جائع ياعم ؟ قال : اي والله يا ابني جوعاً شديداً .. قال : تعال معي . فادخله معه الى الجامع وأغلق الباب ووضع الاكل بينهما فاكلا بشراهة حتى لم يبق شيء من الطعام في الاواني .. فنقل الصينية الى وسط الجامع وصرف الرجل الفقير وفتح الباب ..

وبعد مرور الساعتين جاءت امرأة ابيه فوجدت المواعين فارغة وقد اكل كل مافيها .. فظنت ان الجامع اكلها حيث قالت وهي تحمل صينيتها : (عوافي يابيت الله .. اكلت نذرك) فرد عليها من الزاوية : (شكراً شكراً .. نذرك وصل) ..

ولما خرجت خرج في اثرها واسرع حتى وصل الى البيت قبل ان تصل .. ولما وصلت استقبلها فرحاً يرقص ويصفق ويقول : (ابشرك يا أمي فتحت عيوني .. صرت اشوف احسن من الاول) ..

فتعجبت .. وشعرت بالخسارة وخيبة الامل فكل محاولاتها ذهبت ادراج الرياح ولم تدر ما تفعل ؟

ومر احمد كويشر على (نعاله) ورفعها ونفخ التراب عنها فكلمته قائلة : (يا احمد .. آن الأوان ان تخبر اباك بخيانة زوجته وليطلقها فقد اصبح وجودها خطراً عليك وعلى ابيك) فأمتثل احمد كويشر واطلع اباه على خيانة زوجته .. وبعد ان تاكد الأب من دعوى ابنه بادر فطلقها وطردها من بيته وقرر عدم الزواج من اية امرأة اخرى .

عزيز العلي العزي

ملاحظات على تسميات الحرف الشعبية

في العدد الاول من السنة الثامنة والعشرين (١٩٩٧) من مجلة « التراث الشعبي » استمتعت بقراءة مقالة الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي المعنونة « طرائف في تسميات الحرف الشعبية وانواع الحرفيين » . وهي مقالة طريفة وثقت لنا اسماء حرف اندثر بعضها ، في حين ما يزال بعضها الاخر قائماً الى اليوم .

وقد عنّت لي بعد قراءتها ثلاث ملاحظات هي شرح وتصحيح وتوضيح ، فعساها تكون ذات فائدة للكاتب والقارىء معاً .

١ ـ في معرض كلامه على السقّاء قال الكاتب الفاضل « ويسمى السقّاء ايضاً في الخليج العربي ... بالكندري ، نسبة الى كلمة كندر التي تعني بالفارسية الحيوان المائي » .

يبدو لي ان كلمة كندر في الخليج العربي هي في الاصل قَنْدَر ، لكنهم في الخليج والعراق واهل الريف والبادية يلفظون القاف كافاً (بالجيم المصرية او الكاف الفارسية) . واقول : ان كلمة « كندر » لا تعني الحيوان المائي مطلقاً من غير تحديد لان حيوان الماء كثير الانواع ، بل هي تطلق على نوع واحد بعينه هو «القَنْدَري » او « القُنْدس » . قال ادي شير « القُنْدُر : معرب قُنْدُز ومعناه كلب الماء . والقندز معرب كُنْدِسك ومعناه خصية الكلب . قال في البرهان القاطع : وهو ايضاً اسم حيوان شبيه بالثعلب في تلك الديار ، تتخذ من جلده فراء فاخرة جداً تلبسها السلاطين ... وقيل انه يشبه الكلب ، وهو كثير الوجود في تركستان ... » .

وقد ذكره القزويني وسماه القندري ، وذكره من بعده الدَميري حيث سماه القندر وقال

فيه « هو حيوان بري يكون في الانهار العظام ، يتخذ في البر الى جانب البحر بيتاً له بابان ... وخصيته تسمى الجندبادستر ... » . وكان قد تكلم عليه في باب الجيم فقال « الجندبادستر : حيوان كهيئة الكلب وليس ككلب الماء ، ويسمى القندر .... ولا يوجد الا ببلاد القفجاق (اي قفقاسيا اليوم) وما يليها ... » .

قلت القَنْدَر والقُنْدُر والقندري والقُنْدُس boaver حيوان مائي من رتبة القوارض (اي رتبة الجرذان والفئران والشياهم ونحوها) . وهو اكبر القوارض جسماً ، اذ يتراوح طول جسمه بذيله بين ٩٥ و١٦٠ سم ، ويزن بين ٩ و ٣٢ كغم والمعدل ١٣ كغم ، ذو فرو ناعم الملمس كثيف . وهو صغير العينين قصير الاذنين والقوائم الامامية ، وفي رجليه صفاق بين الاصابع يعمل عمل المجذاف فيمكن الحيوان من السباحة ايضا . وهو سباح ماهر وغواص اكثر مهارة ، يستطيع المكث تحت الماء نحو ربع ساعة . وهو يبني بيته من الحطب في الجداول والبحيرات الصغيرة ويحيطه بالماء ؛ وأحياناً يبنيه على الشاطيء فيكون نصفه تحت الماء يستخدمه للهرب من اعدائه اذا اضطر الى ذلك . اما طعامه فهو لحاء الشجر وخشبه وجذوره وفروعه وورقه وبعض نباتات الماء .

٢ ـ ذكر الكاتب « الحَذاء » اي صانع الاحذية وقال انه « يسمى بالقُندرچي في الموصل ، بينما تطلق هذه اللفظة (القندرچي) على مصلح الاحذية ببغداد ... » .

قلت : بل ان صانع الاحذية ببغداد هو ايضاً القندرچي مثلما هو في الموصل ، ولا تطلق هذه التسمية على مصلح الاحذية ابداً . فمصلح الاحذية في بغداد يعرف باسم « الركاع » اي الرقّاع ، لانه يرقع الاحذية القديمة ويداوي ما فيها من عيوب .

وممن نسب الى حرفة صناعة الاحذية ببغداد المشهور المرحوم رشيد القندرچي الذي توفي سنة ١٩٤٥م وهو يومئذ خبير المقام في دار الاذاعة العراقية .

٣ ـ واشار الاستاذ باسم الى صانع الاسلحة او مصلحها فقال : « الصيگل : وهو صانع الاسلحة او مصلحها .... والتسمية جنوبية ، وفي الموصل يسمى الچقماقچي » .

قلت : لفظة « الصيگل » عربية فصيحة اصلها « الصَيْقَل » . قال الفيروزآبادي « الصيقل : شحاذ السيوف وجلّاؤها . ج : صياقل وصياقلة » . وفي المعجم الوسيط « صَقَله يَصْقُله صقلًا وصقالًا : جلاه . يقال صقل السيف والمرآة ونحوهما . الصَيْقَل : الصَقّال . ج : صياقل وصياقلة ... » .

وكم في عامية العراق من بليغ القول وفصيح الكلام !!

زياد ابولبن

تحليل الحكاية العربية بنائياً ودلالياً في سياق تاريخي اسطوري

كتاب « الكنز والتاويل (قراءات في الحكاية العربية) لسعيد الغانمي » ، من الدراسات الجادة في البحث عن تاويل واع للحكاية العربية ، وللباحث قدرة على الإحاطة بالحكاية تاريخيا وعبر تتبع الاساطير القديمة ، هذه الإحاطة تعتمد على مرجعية عميقة في كتب التراث في التاريخ ، والاخبار والدواوين كما تعتمد على مرجعية جديدة او حديثة في كتب الدراسات النفسية والتاريخية والادبية ، واعتمدت ايضا مرجعية الاصول الإنجليزية لكتب تبحث في التاويل والحكاية والدراسات الادبية .

في مدخل الكتاب نرى تبسيط العبارة في توصيف مفهوم التاويل والحكاية ، وخاصة عندما يتوقف الكاتب على فهمه للكنز الذي جاء عنوانا اوليا للكتاب ثم عطف عليه التاويل . وفي مفتتح المدخل عبارة لابن عربي في فتوحاته المكية : « الكلمات كنوز ، وأنفاقها النطق بها » ، باعتبار ان القراءة درر وكنوز ، كما اورد تكثيفا لحكاية لاتغيب عن ذهن القارىء ، وهي : « خلف رجل لاولاده ارضا ، واخبرهم ان في الارض كنزا ، وبعد ان مات ، حفر الاولاد الارض ، ووجدوا ان الكنز هو الارض نفسها » ، فكما ان الكنز هو الارض ، فالقراءة هي الكنز ، وبوصف ان الحكاية هي قراءة فهي بحد ذاتها هي الكنز .. فالحكاية نص ، والنص كنز . والتاويل فعل اكتشاف كنز ، كما يقول الباحث : لا تكتمل الحكاية الا بالتاويل الذي يعطيها معناها في سياق معين .

الكتاب يحتوي على سبع حكايات عربية ، خاضعة لقراءات متعددة قابلة للتاويل . واول هذه الحكايات « حجر سنمار » وباختصار لتعدد روايات الحكاية نورد قول الثعالبي في كتابه « تحار القلوب في المضاف والمنسوب » كما اورده الباحث : يضرب به المثل للمحسن يكافا بالإساءة . وكان سنمار الرومي مشهورا ببناء المصانع والحصون والقصور للملوك ، فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان بن امرىء القيس في مدة عشرين سنة ، فكان يبني مدة ويغيب مدة ، ويريد بذلك ان يطمئن للبنيان ويتمكن ، فلما فرغ منه وصعد النعمان ، وهو معه ، وراى البر والبحر ، وراى صيد الظباء والضباب والحمير ، وراى صيد الحيتان وصيد الطير ، وسمع غناء الملاحين واصوات الحداة ، اعجبه حسن البناء وطيب موضعه ، فقال

سنمار عند ذلك متقرباً اليه بالخدمة وحسن المعرفة : ابيت اللعين ، والله اني لاعرف في اركانه موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان ، قال : او كذلك ، لا جرم الله لادعنه ولا يعلم بمكانه احد ، ثم امر به فرمي من اعالي البنيان فتقطع » .

وهذا التأويل الحكائي يقترن بحكايات عالمية اخرى ، فيقول سعيد الغانمي : « هل النعمان هو النموذج الوحيد للبحث عن اللانهاية ؟ قبل النعمان كان هناك نمونج مماثل ، هل كان قبله حقا ؟ هو الامبراطور الصيني « شيه هوانغ تي » الذي بنى سور الصين العظيم ، وأحرق الكتب جميعا ، وفي رأى بورخس فإن هذا الامبراطور « حرم الموت وبحث عن إكسير البقاء » . كان إحراقه الكتب نوعا من التخلص من الماضي ، وتبشيرا ببداية جديدة للزمن ، وكان بناؤه السور نوعا من الاحتماء بالابدية من الموت ، ومثل النعمان فقد أتهم « شيههونغ تي » بالاستبداد والعنف ، لأنه حكم على امه بالنفي لتهتكها ، لكن شيه هوانغ تي والنعمان السائح كليهما نسخة مكررة من ملك أقدم بحث عن إكسير الحياة لكنه لم يفلح ، انه جلجامش الذي فقد صديقه أنكيدو ، كما فقد النعمان صديقه سنمار » ص ١٣ .

الحكاية الثانية تتعلق بطرد امرىء القيس وما يحاك من أخبار حول طرده من قبل أبيه الملك حجر بن الحارث ، وهناك تناقضات إخبارية متعددة مرورية في كتب التاريخ والأدب ، وهو ما دعى طه حسين للقول بأن امرأ القيس ان يكن قد وجد حقا ، فإن الناس لم يعرفوا عنه شيئاً الا اسمه هذا ، والا طائفة من الأساطير والأحاديث تتصل بهذا الاسم . فيعيد الباحث ترتيب حكاية امرىء القيس بعد إيراد عدة أخبار مرويّة في كتب السلف : « تحذر الكاهنة او النبوءة حجرا الملك ان يقتله رجل من رحمه ، او من دمه ، فيأمر حاجبه أن يقتل ابنه الصغير امرأ القيس ويأتيه بعينيه ، يأخذ الحاجب الغلام ، لكنه لا يقتله لاعتقاده ان الملك سيندم على فعلته إذا صحا ، فيخفيه ويأتيه بعيني جرذ . ولأن النبوءة ذات وجهين يسترد الملك ابنه بعد مدة لعل الفتى لم يعرف أباه وامه ، لعله أنتسب الى الحاجب او الى شخص آخر لا نعرفه ، ثم حين أدعى الملك أبوته لم يصدق ، لعله شعر بالغربة في بلاط أبيه ـ وهو الذي نشأ في الجبل ـ ان نساء ابيه غريبات عنه ، تغزل بهن ، فلما وصل غزله وتشبيبه الى الملك طرده مرة ثانية ، ولم يعترف بأبوته الا بعد موته ، وبهذا يصح قول امرىء القيس انه ضيعه صغيرا وحمله دمه كبيراً ص ٢٠ .

ويعقد الباحث مقارنة بين ضد الأسطورة او الحكاية بأسطورة أوديب المبنية تحذر وهي من دلفي الملك لايوس بأن يموت بلا ذرية ، ولذلك لابد من أن تربي امرأته جوكاستا ابنها اوديب فقد سلمته الى احد الخدم وأمرته بأن يتركه ليهلك بين التلال ، لكن الخادم الذي كان راعيا اشفق عليه وسلمه الى راع آخر سلمه الى ملك كورنثه ، وفي كورنثه يخشى اوديب ان يقتل اباه فيهاجر حتى لايحقق النبوءة . وفي طريقه الى طيبة يلتقي أباه الحقيقي لايوس ويقتله دون ان يعرف انه أبوه . ثم يحل لغز أبي الهول الذي ارعب سكان طيبة حتى أنهم جعلوا مكافأة من يقتله الزواج بالملكة جوكاستا . فيزوجها دون ان يعلم انها أمه . وبذلك تتحقق النبوءة التي هرب منها ص ٢١ . إذا علمنا ان لغز أبي الهول يقوم على سؤال ينتهي بكارثة وحله وعدم حله يؤدي الى الموت ، اذا حله المسؤول عنه مات السائل ، واذا لم يحله

المسؤول عنه مات ، ففي السؤال تحريض لارتكاب محرم ومخالفة قوانين الطبيعة ص ٢١ .
ويتوقف الباحث عند حكاية اللغز في حياة امرىء القيس ، لغز الجارية ، كما تمثل لغز أبي الهول في حياة أوديب ، ويرد الباحث لغز امرىء القيس الى اخبار العرب متوقفا على دلالات تحملها الحكاية ، مقتربا من فك رموزها ودلالاتها ، قابلة للتأويل .
وحكاية الرداء المسموم عند امرىء القيس ترتبط بحكاية الرداء المسموم عند هرقل العظيم ـ كما جاء في الاسطورة الاغريقية ـ ويعقد الباحث مقارنة تاويلية ما بين الحكايتين لفك رموزهما الملتبسة ، والكشف عن دلالات الرمز ، مقاربا بين الأسطورة والحكائي من جهة ، ومن جهة اخرى ما بين الأسطوري الحكائي والواقعي .
الحكاية الثالثة « حكاية حاسب كريم الدين » وهي حكاية مأخوذة من حكايات « ألف ليلة وليله » وهي أطول الحكايات ، إضافة الى حكايتين أخريين ، هما حكاية بلوقيا وحكاية جانشاه والحكايات الثلاث متضمنة في حكاية واحدة ، فحاسب كريم يلتقي ملكه الحيات بعد سلسلة من العوائق ، وتروي الملكة له قصة بلوقيا وبحثه عن ماء الحياة ، وكيف أسرها ليصل الى العشب السحري المنقذ بصحبة صديقه عفان .
حكاية بلوقيا يتتبعها الباحث عبر الاساطير العراقية والعربية واليهودية القديمة ، باعتبار ان بلوقيا يهودي من يهود مصر ، وبحثه عن عشب الحياة يشابه بحث الاسكندر ذي القرنين في اسطورة جلجامش ، وبعض كتب التاريخ تقول أنه يبحث عن عين الحياة ، فالبحث عن الخلود مسعى بلوقيا وذي القرنين ، ولم يكتف الباحث في عقد مقارنة بين الأسطورتين بل يقوم بتحليل رموز الأسطورتين واستكشاف عوالمهما .
الحكاية الرابعة « صندوق وضاح اليمن : الحكاية المحرمة » وهي تروى عن كيفية قتل وضاح اليمن ؛ فيما زعم أن الوليد بن عبدالملك جعله في صندوق ودفنه ، وهذه الرواية ينقلها صاحب الاغاني عن ابن الكلبي ، والباحث يربط بين القصة التاريخية والواقع القابل للصدق واليقين ، ومن جانب آخر بين الصدق الفني والصدق الموضوعي او الواقعي .
الحكاية الخامسة « سلامه والقس : ترويض الحواس » ، وقد وردت في كتاب « الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني « عن عبد الرحمن بن عبدالله المسمى بقس من عبادته ، وتعلق القس بسلامه التي وقفت تغني بدار مولاها ، وهذا التعلق جاء بعد امتناعه النظر الى سلامه وقبوله السماع ، ولكن رأى سلامه وهام بها قلبه ، وكان لقاؤها في بيت مولاها بعد خروج المولى في حاجة ، وحانت فرصة اللقاء والحب والقبل ، ولكن تمنع القس كما تمنع يوسف عليه السلام ، والقس تعلل بآية قرآنية تقول « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » وقال القس لسلامه : انا أكره ان تحول مودتي لك عداوة يوم القيامة .
هذه الحكاية توصل الباحث الى مقاربات بين النثر والشعر والحكاية والآيات القرآنية والاحاديث النبوية ؛ ويعمل الباحث على تأويلات متعددة داخل النص الواحد ، تقوم على رواية ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء ، التي ينقلها بالسند عن طاهر بن محمد الاهوازي ، وهذه الحكاية تدول حول ابي حيان الموسوس ، وكيف أن هذا الرجل يحمل جرة في النهار مملوءة بماء دجلة . ويقوم بعمله هذا كل مطلع نهار وفي الليل يضع الجرة ويجلس

يبكي عليها ، وهو يدعو : اللهم فرج عني وخفف علي هذا العمل الذي أنا فيه . هذه حكاية المجنون التي ترد في طبقات الشعراء ، ويعقد الباحث مقارنة بين عمل أبي حيان الموسوس وبين سيزيف البطل الإغريقي الذي حكمته الآلهة بنقل الحجر من اسفل الجبل الى أعلاه ، لكنه ما أن يقترب من القمة حتى يسقط الحجر الى الأسفل ، فينقله ويسقط وهكذا الى الأبد . ولم يكتف الباحث بعقد المقارنة وتأويل الحكاية بل سعى الى المعنى الذي تحتويه لفظة مجنون في لسان العرب ، وربط هذه المعنى مع سياق الحكاية في دلالاتها المتعددة والقابلة للتأويل .

الحكاية السابعة : « الرؤيا والكنز والتعبير : حكاية الحالمين » وهي حكاية وردت في ثلاثة مواضع ، وهي : ألف ليله وليله وثانيها حدائق الأزهار لابن عاصم الأندلسي ، وثالثها ، تاريخ عالمي للعار لبورخس . وحكاية الف ليله وليله وبورخس متشابهة مع اختلاف المكان بدل مصر اصفهان ، أما حكاية الف ليلة وليلة وابن عاصم الاندلسي فهي حكاية واحدة مع اختلاف في السرد الحكائي . وسوف أنقل الحكاية كما نقلها الباحث سعيد الغانمي باختصار واقتضاب : « رجل مثر يعيش في بغداد ، ولكن الفقر يهاجمه حتى يلتهم كل ما يملك ، وقبل ان يفكر بالاستجداء والطلب من الناس يرى في المنام من يقول له : إذهب الى مصر ، وستجد هناك كنزا . وفي مصر لايجد له مكانا يؤويه سوى المسجد الذي يقضي فيه ليلته ، لكن سوء الحظ يلاحقه بجماعة من اللصوص تعبر من المسجد الى بيت مجاور . تطاردهم الشرطة ، غير أنها لا تقبض على احد منهم ، فتتهم الحالم البغدادي بأنه منهم . يأمر ضابط العسس بجلده عدة أسواط ، والاستفهام منه عن سبب مبيته في المسجد ، فيرد عليه بأنه قدم لتوه من بغداد . يسأله الضابط : ولماذا جئت ؟ يقول : لأنني حلمت بأن كنزاً بانتظاري في مصر ، لكن يبدو ان الكنز الذي وعدني به الحلم هو هذه السياط التي نلتها منك ، يضحك الشرطي ويقول له : يالك من شخص غبي ، تصدق ما تقوله الأحلام . لقد حلمت مثلك بكنز في بغداد في المحلة الفلانية والشارع الفلاني ، تحت سدرة في بيت فلان . لكنني لم أكن غبياً مثلك لأذهب . وألان خذ هذه القروش وعد الى بغداد .

يعود الرجل البغدادي الى بغداد ، فقد كانت المحلة التي سماها الحالم المصري محلته ، بيته ، والاسم الذي ذكره اسمه ، ومن تحت السدرة التي وصفها الحالم المصري في مصر يستخرج الكنز الذي وعدوه به الحلم في بغداد ص ٧٩ ـ ٧٨ .

يقوم الباحث بتحليل الحكاية بنائيا ثم دلاليا . ويتوقف عند مفهومين مختلفين الحلم والرؤيا ، ويعتمد على مرجعيات مختلفة للوصول الى فهم للرؤيا كي يقترب من الحكاية في نبوءتها . هذا الكتاب (الكنز والتاويل) من الكتب المهمة في قراءة جديدة للحكاية العربية ، وفهم أعمق للسرد الحكائي ، وكشف جديد عن علامات تنتظم الحكاية ، وهذه القراءة ايضاً تفتح بابا جديدا للعودة الى دراسة التراث من جديد ضمن رؤية جديدة ، وأفق واسع ، دون تهيب وقدسية لدخول نص التراث الملغز في كشفه ..

● الكنز والتأويل : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٤ .

Al – Turath Al – Sha'bi
No . 3 Vol . 29 – 1998

Page

3 – 35 years of wealthy writing , by Qassim K . Abbas .
10 – Abdul Hameed Al – Alowchi and his Participation in Al – Turath Al – Sha'bi . by Abdul Jabbar As . Samaraie .
13 – Father Instas Mari Al – Karmali , by Hikmat Rahmani .
17 – Aneesah (a play – tale) , by Yousuf Al – Ani .
31 – Spiritual and Aesthestic facts of precions Stones , by Imad Haj Hassan .
38 – Pomegranates in our Life , by Azeez Jassim Al – Hajjiyah .
.46 – Public bathrooms Customs in Mosul , by Muthri Al – Ani .
51 – Al – Mesaiyab Bridge , by Jawad A . Mohsin .
56 – Popular coffee – shops in Basrah , by M . Jawad Dakhli and Abdul Kareem Amri .
60 – Children's madrigals in the Feast , by Fakhri H . Qassab .
64 – An Introduction to the History of Magic , Past and Present , by Basim A . H . Hamoudy .
74 – The Guest – House in The Qar , by Majid K . Ali .
78 – Crafts and Industries in Ancient Iraq , by H . Saggs , tr . , by Kadhim Sa'deddin .
87 – An Iraqi Folk tale , by Abbas Mulla Ali .
90 – Commentaries
Notes on the Names of folk crafts , by Aziz Al – Ali Al – Izzi .
92 – the Folklore Library .
Aralysis of the Arabian Tale , Reviewed by Ziyad Abu Laban .

Transgated by : Kadhim Sa'deddin

محتويات العدد الثالث ١٩٩٨

٣ ـ حكاية ٣٥ عاماً من العطاء الثر .... قاسم خضير عباس
١٠ ـ عبد الحميد العلوجي واسهاماته في مجلة التراث الشعبي . عبد الجبار محمود السامرائي
١٣ ـ الاب انستاس ماري الكرملي .... حكمت رحماني
١٧ ـ انيسة (سالوفة مسرحية) .... يوسف العاني
٣١ ـ الحقائق الروحية والجمالية للاحجار الكريمة .... عماد الحاج حسن
٣٨ ـ الرمان في حياتنا .... عزيز جاسم الحجية
٤٦ ـ الغسالة من عادات الاستحمام في الموصل .... مثري العاني
٥١ ـ جسر المسيب .... جواد عبد الكاظم محسن
٥٦ ـ المقاهي الشعبية في البصرة .... محمد جواد الدخيلي وعبد الكريم العامري
٦٠ ـ اهازيج الصبية والاطفال ومشاكساتهم في العيد .... فخري حميد القصاب
٦٤ ـ مقدمة في تاريخ السحر قديماً وحديثاً .... باسم عبد الحميد حمودي
٧٤ ـ المضيف في ذي قار .... ماجد كاظم علي
٧٨ ـ الحرف والصناعات في العراق القديم .... ت : كاظم سعد الدين

حكاية شعبية

٨٧ ـ احمد گويشر وامراة ابيه .... عباس الملا علي

اراء وتعقيبات

٩٠ ـ ملاحظات على تسميات الحرف الشعبية .... عزيز العلي العزي

مكتبة التراث الشعبي

٩٢ ـ تحلنل الحكاية العربية بنائياً ودلالياً في سياق اسطوري .... عرض : زياد ابو لبن
٩٦ ـ الفهرست الانكليزي ....

التراث الشعبي — العدد الثالث - السنة التاسعة والعشرون /١٩٩٨

AL -TURATH AL - SHA'BI

QUARTERLY JOURNAL OF FOLKLORE

ISSUED BY
THE HOUSE OF PUBLIC CULTURAL AFFAIRS
THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

P . O . 4032 , Baghdad . Iraq
Nc . 3 — Vol — 29 — 1998

Editor – In . Chief

BASIM . A . H HAMMODY

Conespondence Should be Adressed to The editor – In – Chief

○ سعر المجلة في الاقطار العربية

العراق	١٥٠ دينارا*	مصر	٢٠٠ قرش
الاردن	ديناران	السودان	٣٠٠ ملم
لبنان	٢٠ ل . ل	الجزائر	٣٠ د ج
السعودية	٣٠ ريالا	ليبيا	ديناران
قطر	٣٠ ريالا	تونس	ديناران
اليمن	٢٠ ريالا	الامارات	٣٠ ريالا
البحرين	ديناران	سوريا	٥ ل . س

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٤ لسنة ١٩٩٨